اليقين

بين

القرآن والفلسفة

دكتورة

لوتس علي محمد علي

الأستاذ المساعد
بقسم العقيدة والفلسفة بالكلية

المقدمة

بســـم الله الرحمـــن الرحـــيم المتفرد بالخلق، والإيجاد . الذى خلقنا وعلمنا ما لم نكن نعلم وهدانا إلى الإيمان الصحيح عن طريق نبينا محمد ــ صـــلى الله علـــيه وســـلم ــ وجعل يقين الإيمان يسكن صدورنا وتنطق به ألسنتنا وتصدق به أعمالنا.

لمـــا كان اليقين هو الاعتقاد الجازم الذى لا يقبل الشك أو الريبة أو الظـــن. أحببـــت أن ألقـــى الضوء عليه فى هذا البحث لما له من أهمية فى سلوك الإنسان الذى يؤثر بالطبع على المجتمع الذى يعيش فيه ذلك الإنسان. وكانت خطة البحث كالتالى :

المبحث الأول : اليقين فى القرآن الكريم .

واشتمل على : معنى اليقين عند المتكلمين وعند الصوفية. واليقين الذاتـــى والموضـــوعى للقـــرآن الكريم ــ وقواعد المنهج اليقينى فى القرآن الكـــريم ــ والـــبرهان فى مفهوم اليقين القرآنى ــ والقرآن يذم من لم يأخذ باليقيـــن وأســـبابه ــ ودرجـــات اليقين فى القرآن الكريم ــ وأقسام اليقين القرآنى ــ وزيادة اليقين ونقصه ــ وشمول اليقين القرآنى .

المبحث الثانى : اليقين فى الفلسفة .

واشـــتمل علـــى : اليقين فى الفكر اليونانى ــ واليقين فى الفلسفة الإسلامية ــ ومصادر المعرفة اليقينية فى الفلسفة الإسلامية ــ واليقين عند الصوفية ــ واليقين فى الفلسفة الحديثة . ثم خاتمة البحث .

وعلى الله قصد السبيل .

المبحث الأول

اليقين فى القرآن الكريم

القـرآن الكـريم كتاب الله المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسـلم فهو يقينى المعرفة ، لأنه كتاب أحكمت آياته وفصلت . فهو ما جاء إلا بالحق وللحق وأتخذ القرآن الكريم عدة أساليب لبيان أن معارفه وعلومه كلها يقينية لا تقبل الشك .

وقبل أن نتحدث عن ذلك نريد أن نحدد معنى اليقين ؟

معنى اليقين :

ذكر اليقين فى القرآن الكريم فى تسعة وعشرين موضعاً بصيغ هى: اليقين ، ويقيناً ـ توقنون ـ يوقنون ـ موقنين ـ واستيقنتها ـ ليستقين ـ بمستيقنين والعلم اليقينى هو العلم الذى لا يقبل الشك بأى حال من الأحوال .

(ويقـال : خبر يقين لا شك فيه ويطلق على الموت لأنه لا يمترى فـيه أحد . والإيقان عند الإطلاق : هو الذى لا شك فيه بما يجب الإيمان به فى الدين)[1].

اليقين عند المتكلمين :

يقـول الفخر الرازى : " اليقين هو العلم بالشىء بعد أن كان صاحبه شـاكاً فـيه، فلذلـك لا يقول القائل : تيقنت وجود نفسى وتيقنت أن السماء فوقى، لما أن العلم به غير مستدرك"[2].

فمعنى ذلك أن لا يكون يقين إلا بعد وجود شك مسبق .

وعـرف الغزالى العلم اليقينى بقوله : (العلم اليقين هو الذى ينكشف فـيه المعلـوم إنكشـافاً لا يبقى معه ريب، ولا يقارنه إمكان الغلط كالوهم ، ويتسع العقل لتقدير ذلك، بل الأمان من الخطأ ينبغى أن يكون مقارناً للنقص،

---

(١) نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة ص ١٩٥ د / راجح عبد الحميد الكردى .

(٢) مفاتيح الغيب للرازى جـ ١ ص ٣٩٨ .

مقارنة لو تحدى بإظهار بطلانه مثلاً، من يقلب الحجر ذهباً، والعصا ثعباناً، لم يورث ذلك شكاً وإمكانا)[1].

وعرف الزمخشرى الإيقان : بأنه (إيقان العلم بانتفاء الشك والشبهه عنه)[2].

أى أن العلـــم اليقينى لا يقبل الشك أو الوهم أو الظن أو الشبهه فهو علم لا يبقى معه ريب ٠

والامـــام الغـــزالى جعل اربع مقامات للنفس الانسانية فى ميلها إلى التصديق بالشىء الذى يصل إلى اليقين ٠

(أولها : أن يعتدل التصديق والتكذيب ويعبر عنه بالشك ٠

وثانـــيها : أن تمـــيل الـــنفس إلى أحد الأمرين، مع الشعور بإمكان نقيضه، ولكنه إمكان لا يمنع ترجيح الأول ٠

فهذا التجويز مساو لذلك الميل، ولكنه غير دافع رجحانه فهذه الحالة تسمى ظناً ٠

والثالث : أن تميل النفس إلى التصديق بشىء بحيث يغلب عليها ولا يخطـــر بالبال غيره، ولو خطر بالبال تأبى النفس عن قبوله، ولكنه ليس مع ذلـــك معـــرفة محققـــة إذ لو أحسن صاحب هذا المقام التأمل والإصغاء إلى التشـــكيك ، والـــتجويز اتســـعت نفسه للتجويز، وهذا يسمى اعتقاداً مقارباً لليقين٠

والـــرابع : المعرفة الحقيقية الحاصلة بطريق البرهان الذى لا يشك فيه، ولا يتصور الشك فيه، فإذا امتنع وجود الشك وإمكانه سمى يقيناً٠ فعند

---

(١) احياء علوم الدين جـــ ٤ ص ١٩ ٠

(٢) الكشاف للزمخشرى جـــ ١ ص ١٣٧ ، مطبعة الحلبى القاهرة ١٣٩٢ هـــ ـــ ١٩٧٢م

المتكلمين كل علم لا شك فيه يسمى يقيناً . ولا يوصف اليقين بالضعف، إذ لا تفاوت فى نفى الشك)[1].

وهـذا التعريف لليقين هو تعريف لليقين البرهانى أو الفلسفى الذى يستوى مع اليقين البديهى أو الضرورى الذى لا يقبل الشك بأى حال من الأحوال . فهذا التعريف يركز على موضوعية اليقين وواقعيته .

اليقين عند الصوفية :

(اليقين هو المكاشفة . وهو على ثلاثة أوجه :

مكاشفة فى الأخبار . ومكاشفة بإظهار القدرة .ومكاشفة القلوب بحقائق الايمان .

ومراد القوم بالمكاشفة : ظهور الشىء للقلب بحيث يصير نسبته إليه كنسبة المرئى إلى العين . فلا يبقى معه شك ولا ريب أصلاً . وهذا نهاية الإيمان)[2].

فاليقين إذا وصل إلى القلب أمتلأ القلب نوراً وضياءاً وانشراحاً لطاعة الله ومحبته . وانتفى عنه كل ريب وشك وبعد عنه الهم والغم والحزن والقلق .

وفى الرسالة القشيرية قال بعضهم (أول المقامات المعرفة ثم اليقين ثم التصديق ثم الإخلاص ثم الشهادة ثم الطاعة ، والإيمان اسم يجمع هذا كله).

ويقول القشيرى معقباً على ذلك (أشار هذا القائل إلى أن أول الواجبات هو المعرفة بالله سبحانه وتعالى والمعرفة لا تحصل إلا بتقديم شرائطها وهو النظر الصائب ثم إذا توالت الأدلة وحصل البيان صار بتوالى

---

(١) إحياء علوم الدين للغزالى جـ ١ ص ٧٢ ، ٧٣ .

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين جـ ٢ ص ٤١٥ .

الأنـــوار وحصـــول الأستبصـــار كالمســـتغنى عن تأمل البرهان وهو حال اليقين)[1].

وهناك تعريف آخر لليقين لعامة الفقهاء والصوفية وأهل العلم وهو اســـتيلاء الفكر والقلب والعقل على حقيقة ما حتى تكون معه فى حال اليقظة والمـــنام وعـــبر عـــنها الغزالى بقوله : (فهو أن لا يلتفت فيه إلى اعتبار التجويز والشك بل إلى استيلائه وغلبته على العقل حتى يقال : فلان ضعيف اليقيـــن بالموت، مع أنه لا شك فيه ويقال فلان قوى اليقين فى إتيان الرزق مع أنه قد يجوز أن لا يأتيه . فمهما مالت النفس إلى التصديق بشىء وغلب ذلـــك علـــى القلـــب واستولى حتى صار هو المتحكم والمتصرف فى النفس بالتجويز والمنع سمى ذلك يقيناً .

ولا شـــك فـــى أن الناس مشتركون فى القطع بالموت والأنفكاك عن الشـــك فـــيه، ولكن منهم من لا يلتفت إليه ولا إلى الاستعداد له وكأنه غير موقـــن بـــه ، ومـــنهم من استولى ذلك على قلبه حتى استغرق جميع همه بالاســـتعداد له ولـــم يغادر فيه متسعاً لغيره، فيعبر عن مثل هذه الحالة بقوة اليقين وعلى هذا الاصطلاح يوصف اليقين بالضعف والقوة)[2].

وهـــذا الاصـــطلاح يـــبرز الجانـــب النفسى والذاتى لليقين من حيث اســـتيلائه علـــى القلب والنفس حتى تستعد ليوم الرحيل يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

اليقين الذاتى والموضوعى للقرآن الكريم:

اليقيـــن فـــى القرآن الكريم يقين ذاتى وأيضاً موضوعى فاليقين فى القـــرآن الكـــريم (هـــو مقصود العلم فى القرآن وأعلى درجاته وهذا اليقين مسألة نفسية أو عقلية هى إقتناع واعتقاد جازم ومسألة موضوعية وهو أنه

---

(١) الرسالة القشيرية ص ١٤١ .

(٢) إحياء علوم الدين للغزالى جـ ١ ص ٧٣ .

مطـــابق للواقـــع . فاليقين ذاتى وواقعى، أو ذاتى وموضوعى، وأن غياب الحالة النفسية لا يلغى يقينية الشىء فى ذاته)[1].

لذلـــك عـــبر القرآن الكريم عن ذلك قائلاً : (وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ اليَقِينُ)[2].

فالعـــبادة وســـيلة مـــن وســـائل جـــلاء الشك فى النفس الإنسانية وطمأنينتها باليقين فى القلب والعقل معاً حتى ولو لم ير الأدلة المشاهدة.

وهـــناك أيضـــاً الفطرة السليمة تؤدى إلى اليقين وعدم الاحتياج إلى دليل فإبراهيم عليه السلام آمن بفطرته دون دليل وغيره كثير لا نعلمهم الله يعلمهم.

إذن الدليل البرهانى أو الفلسفى ليس هو الطريق الوحيد لإزالة الشك وإنما لتأكيد اليقين وزيادة التصديق به .

(اليقين فى القرآن لا يقتصر على اليقين بالمعنى الفلسفى الذى هو الـــبرهان أو اليقيـــن الناشـــىء عن دليل برهانى، مرتب ترتيباً فلسفياً معيناً فحســـب ذلك أن الإنسان قد يحصل له اليقين بالتسليم والوعى الفطرى دون الحاجـــة إلـــى دليل، وهذا يعنى أن الدليل البرهانى ليس هو الطريق الوحيد لليقين فى نظر القرآن.ومن ثم فإن قيمة الدليل ومكانته ــ فى نظر القرآن ــ هـــى فـــى أنـــه منبه للفطرة والدليل بالنسبة للمسلم لا يكون ناشئاً عن شك فالمستدل ليس شاكاً حتى يصل بالإستدلال إلى إزالة الشك ومن ثم يصل إلى اليقيـــن . ولـــو كان الأمر كذلك أى لو كان الاستدلال هو الطريق لليقين لما كـــان الإيمان أمراً ميسوراً للناس . ومن ثم كان مقصود الاستدلال البرهانى فـــى القـــرآن زيـــادة اطمئنان الشخص وتأكيداً ليقينه بالمدلول، هذا بالنسبة للمؤمنين . أما غيره فيكون الاستدلال بالدليل البرهانى من أجل إقامة الحجة

---

(١) نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة ص ١٩٨ .

(٢) الحجر ، الآية : ٩٩ .

عليه أى أن مقصود القرآن تقوية اليقين بالمعنيين جميعاً : نفى الشك الذى يدعيه الخصم، وزيادة تسليط اليقين على النفس حتى يكون هو الغالب عليها المتحكم والمتصرف فيها)[1].

ومن ذلك نخلص أن الدليل البرهانى أو الفلسفى ليس الوحيد فى الوصول إلى اليقين الذى لا يقبل الشك وإنما هناك بجانبه أصحاب العقول والفطر السليمة، وأيضاً الوحى الذى يمدنا بالعلم الذى لا نعلمه ولا نستطيع أن نتخيله كما ينبغى أن يكون وهو العلم بالأمور الغيبية وامتدح من يؤمن بالغيب وبشرهم بالعطاء الجزيل فى الجنة .

قال تعالى : (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)[2].

وهناك ظن يغلب على الإنسان يرتقى إلى درجة اليقين عبر عنه القرآن الكريم فى قوله تعالى : (الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ)[3] وقوله : (إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَهْ)[4].

فالظن فى الآية الأولى بمعنى العلم لأن فيه مدح، قال الفخر الرازى : (أن الظن بمعنى العلم، قالوا : لأن الظن وهو الاعتقاد الذى يقارنه تجويز النقيض يقتضى أن يكون صاحبه غير جازم بيوم القيامة وذلك كفر والله تعالى مدح على هذا الظن، والمدح على الكفر غير جائز فوجب أن يكون المراد من الظن ها هنا العلم، وسبب هذا المجاز أن العلم والظن يشتركان فى كون كل واحد منهما اعتقاداً راجحاً إلا أن العلم راجح مانع من النقيض

---

(١) نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة ص ١٩٨ .

(٢) سورة البقرة ، الآيات ٣ ــ ٥ .

(٣) سورة البقرة ، الآية : ٤٦ .

(٤) سورة الحاقة ، الآية : ٢٠ .

والظن راجح غير مانع من النقيض فلما اشتبها من هذا الوجه صح إطلاق اسم أحدهما على الآخر ... فثبت أن المراد بالظن هنا العلم)[1].

وفـــى قوله تعالى : (إنى ظننت أنى ملاق حسابيه) ذكر الفخر الرازى وجوها لتفسير تلك الآية نذكر منها ما يخص بحثنا .

قال الفخر الرازى:

(المراد منه اليقين الاستدلالى وكل ما ثبت بالاستدلال فإنه لا ينفك من الخواطر المختلفة ، فكان ذلك شبيهاً بالظن .

والوجـــه الآخر : "ظننت" أى علمت ، وإنما أجرى مجرى العلم لأن الظن الغالب يقام مقام العلم فى العادات والأحكام ، يقال أظن ظناً كاليقين أن الأمر كيت وكيت)[2].

ففـــى الآخرة يفرح المؤمن عندما يرى نتيجة ما فعله من خيرات فى الدنيا عندما يقرأ كتابه لأنه ظن أو علم أن الله عز وجل لن يخزله فى الآخرة لأنـــه فـــى الدنيا فعل الطاعات واجتنب السيئات كما أمر رب العباد لذلك قال تعـــالى : (فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّـــي مُلاقٍ حِسَابِيَهْ)[3] فعندما قرأ كتابه أيقن أن الله عز وجل أدخر له فعل الخـــيرات وأجزل له عطاء الإحسان وعدنا الله وإياكم بالفرح عند النظر إلى كتابـــنا يـــوم القـــيامة . ففى الدنيا كان غالبية ظن وفى الآخرة انقلب الظن بالدليل يقين .

قواعد المنهج اليقينى فى القرآن الكريم:

الـــتحاكم إلى الله تعالى فى القرآن الكريم هو أعظم الطرق والدلالات للوصول إلى اليقين ، قال تعالى : (أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ

---

(١) مفاتيح الغيب جـــ ٢ ص ٧٢ ، ٧٣ .

(٢) مفاتيح الغيب جـــ ١٥ ص ٦٩٨، ٦٩٩ .

(٣) سورة الحاقة الآية : ١٩ ، ٢٠ .

حُكْمـاً لِّقَـوْمٍ يُوقِـنُونَ)[1] فالقـرآن الكريم هو نور الله على الأرض وهو الدستور القويم ومنهج الله المستقيم من التزم به نجا فى الدنيا والآخرة ولم تغلبه الأهواء ولا الفطر الخبيثة من البشر أو الجن فهو الحصن الحصين من تحصـن بـه فـاز ونجـا وعلا فهو منهج الحق والصدق والصفاء والطهر واليقين .

واسـتدل د/راجح عبد الحميد الكردى بآية من القرآن الكريم على قواعد المنهج اليقينى وهى قوله تعالى: (قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لله مَثْـنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ)[2].

قال د/ راجح :

(وهذه الآية التى تدعو إلى هذا المنهج فى البحث من أجل الوصول إلـى اليقيـن تضـع شـروطاً لهـذا المنهج أو قواعد له، نفهمها من الآية كما يلى :

١ – قاعدة الإخلاص فى حب الحقيقة والبحث عنها واضحة من قوله سبحانه (أن تقوموا لله) .

٢ – الـبعد والـتخلص عـن المصلحة الخاصة ، والغرض والهوى الشخصى والشهوات الأرضية وهذا ما يسمونه بالموضوعية بمعنى البعد عن العامل الذاتى .

قال الله تعالى : (وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)[3].

---

(١) سورة المائدة الآية : ٥٠ .

(٢) سورة سبأ ، الآية : ٤٦ .

(٣) سورة المائدة ، الآية : ٨ .

وقـال سبحانه : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً)[1].

٣ – التجرد عن العوامل الخارجية والضغوط أيا كانت هذه العوامل والضغوط من تقليد للآباء أو تقديس للأشخاص العظماء أو إعجاب بالمبادئ والتيارات السائدة الرائجة والمؤثرات الجماعية .

٤ – التعامل الواقعى البسيط مع القضايا، وليس التعامل الخيالى، وذلك بتحديد مصطلحات البحث ومنطلقاته (قل إنما أعظكم بواحدة) .

٥ – استعمال منطق العقل أو قوانين الفطرة الصحيحة الهادئة البعيدة عن الضجيج والمؤثرات بالتفكير " ثم تتفكروا" .

٦ – إدارة الحوار المنتج إما مع النفس " فرادى" أو مع آخر بالقيود السابقة " مثنى" .

٧ – الإعتماد على مقدمات وشواهد علمية صحيحة صالحة للبرهان والحكم على أساس العلم لا على أساس الجهل أو الظن . قال الله تعالى : (وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً)[2] و (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ)[3][4].

فالله عز وجل طلب من المؤمنين أن يردوا ما لم يعلموه إلى الله ورسوله فهو الطريق إلى اليقين إذا عجزوا عن الدليل البرهانى اليقينى المشاهد .

---

(١) سورة النساء ، الآية : ٥٨ .

(٢) سورة الإسراء ، الآية : ٣٦ .

(٣) سورة الحجرات ، الآية : ٦ .

(٤) نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة ص ١٩٣ ، ١٩٤ .

فـإذن قواعـد المـنهج اليقيني في القرآن تقوم على الإخلاص في البحـث عن الحقيقة والبعد عن الأهواء والظنون الهدامة التي لا تصل إلى الحقـيقة واليقيـن، واسـتخدام المـنطق العقلي السليم مع استخدام الوقائع المشـاهدة والـربط بينها لأن الكون كله في ترابط وتناغم وانسجام لا تنافر واختلاف وإنما التنافر والاختلاف من صنع البشر .

والقـرآن يدعونا إلى النظر والتفكر والتدبر في الكون وبذلك يتميز بالنظرة الإيجابية تجاه اليقين وقد مدح الله عز وجل العلماء الذين يستخدمون عقولهـم في العلم للوصول إلى حقيقة اليقين قوله تعالى : (وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُوا الأَلْبَابِ)[1].

البرهان في مفهوم اليقين القرآني :

البرهان أو الدليل في اليقين القرآني يثبت العبد المؤمن فيزداد إيماناً ويجعـل الكافر مستقيم العقل يفكر فيه فإن شاء آمن اقتناعاً وامتثالاً لأوامر الله، وإن شاء جحد وتكبر وعاند فكره وعقله وقلبه فطمس الله عليه .

قـال تعالى : (وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَاناً فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ)[2].

(ومما يدل على أن مسألة اليقين مسألة ذاتية لا علاقة لها بالدليل إيجابـاً أو سلباً أي أنها لا تدور مع الدليل وجوداً وعدماً . فالكفار حتى مع قـيام الدليل واستيقان نفوسهم للحقيقة إلا أن الموقف اليقيني الذي يتصرف في نفوسهم ويوجههم للإيمان لم يحصل إذ قال سبحانه فيهم : (فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ

---

(١) سورة آل عمران، الآية : ٧ .

(٢) سورة التوبة ، الآية ١٢٤ ــ ١٢٥ .

آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ)[1][2].

والقرآن الكريم يجعل النظر الصحيح فيما يحتاج فيه النظر طريقاً إلى اليقين كما يجعل الخبر الصادق عن المعصوم الذى يصلنا بطريق التواتر طريقاً لليقين أيضاً .

وفصل د/ محمد سعيد رمضان البوطى هذه المسألة تفصيلاً جميلاً فقال : (ولقد خاض علماء الكلام فى بحث هذه المسائل، عن طريق العقل والفكر المجرد، دون أن يضعوا الخبر الصادق واسطة بينها وبينهم . ولكن لم يكن ذلك من أجل أنه السبيل الوحيد، وإنما من أجل أن يشقوا على اليقين بها طريقاً أخرى من البحث إلى جانب طريق الخبر الصادق .

وهكذا يسلك الفكر الإسلامى إلى الإيمان بوجود الله ووحدانيته ومتعلقات ذلك مسلكين اثنين، كلاهما منهج علمى دقيق لا خدش فيه.

أما المسلك الأول : فيبدأ بمرحلة البحث فى ظاهرة الوحى ، فإذا تجاوزها ثنى بمرحلة البحث فى صحة النقل وتوفر مقومات اليقين فيه، فإذا تجاوزها ، استيقن الأمر وصدقه لصدق كل مقدماته .

وأما المسلك الثانى : فيستعجل الطريق، ويبحث فى الأمر على هدى من الفكر المجرد والبراهين العقلية المحضة، دون أن ينطلق بذهنه بعيداً إلى النبوة وحقيقتها والقرآن وصدقه .

وكلا المسلكين ينتهيان بالباحث إلى اليقين، بل إنهما ليلتقيان أخيراً ليشد كل منهما من أزر الثانى)[3].

---

(١) سورة النمل ، الآية : ١٣ ــ ١٤ .

(٢) نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة ص ١٩٥ .

(٣) كبرى اليقينيات الكونية ووجود الخالق ووظيفة المخلوق ص ٤٠ .

ولكـــن هـــناك سؤال يفرض نفسه وإذا لم يتعرض الخبر المتواتر اليقينى بأى نص واضح صريح فكيف الوصول إلى اليقين ؟

أجاب الدكتور سعيد عن ذلك بقوله :

(وأمـــا مـــا لم يتعرض له الخبر المتواتر اليقينى بأى نص واضح صـــريح، فينحصـــر الســـبيل إلى معرفة الحق فيه بالنظر العقلى وحده وهو يتحقق بمسلكين اثنين :

المسلك الأول : اتباع ما يسمونه بدلالة الالتزام :

وهـــى أن يطرد ترابط بين شيئين بحيث إذا تأملت أحدهما تصورت الآخر .

وإنما يتم ذلك بعد أن يشهد له الاستقراء التام، وهو أن تتبع الحالات والظروف المختلفة كلها لوجود هذين الشيئين ، فتجدهما متلازمين دائماً .

وذلك كدلالة النحول الشديد على المرض ...

المســـلك الثانى : وليس المقصود به القياس المنطقى المقتبس من الفلســـفة اليونانـــية ، والقائم على القضايا والأشكال، إنما المقصود به ذلك القياس الذى اصطلح عليه علماء أصول الفقه الإسلامى وعلماء أصول الدين (المتكلمون) بعد أن استلهموه من كتاب الله عز وجل وهو منهج يتلخص فى اســـتخراج علـــة الشـــىء أو ســـببه، ثم تلمسه فيما قد يشبهه من الأشياء المجهولـــة ، حتى إذا استيقن الباحث اشتراك كل من المعلوم والمجهول فى علـــة واحـــدة ، قـــاس الـــثانى على الأول فى حكمه المنبثق من تأثير تلك العلة)[1].

فـــإذن إذا لـــم يتوافر النص الصريح المتواتر أو أن يكون الشخص جـــاحداً فيـــنفع معـــه للوصول إلى اليقين مسلك الدلالة الالتزامية إذا تتبعت الحـــالات المـــتماثلة والظـــروف المختلفة وبحثنا فى العامل المشترك بينهم لوجدنا هناك تلازماً بين تلك الحالات .

---

(١) المصدر السابق ص ٤٠ ــ ٤٤ .

وكذلك القياس يؤدى إلى اليقين لأن العلة دائما مؤثرة فى المعلول، وكذلك قانونه التناسق الكونى يؤدى بنا بواسطة الاستقراء وهو تتبع الحالات الجزئية المتماثلة أو المختلفة للوصول إلى الحقيقة الكلية وهى اليقين .

والدليل القرآنى فى مسائل العقيدة غرضه الأساسى إيمان الكافر وزيادة الإيمان فى نفس المؤمن وطمأنينة النفس المؤمنة وتثبيتها وأن يكون اليقين فى اسمى صورة .

واليقين هو الأساس لكل معرفة حقيقية.

قال تعالى : (قَدْ بَيَّنَّا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ)[1].

(وخص الله تعالى بذلك الذين يوقنون ، لأنهم أهل التثبت فى الأمور والمطالبون لمعرفة حقائق الأشياء على يقين وصحة، فأخبر جل ثناؤه أنه بين لمن كانت هذه الصفة صفته ما بين من ذلك ليزول شكه وليعلم حقيقة الأمر إذ كان ذلك خبراً من الله جل ثناؤه، وخبر الله هو الخبر الذى لا يعذر سامعه بالشك فيه وقد يحتمل غيره من الأخبار ما يحتمل من الأسباب العارضة فيه من السهو والغلط والكذب ، وذلك منفى عن خبر الله عز وجل)[2].

واليقين الذى يكتسبه المؤمنون من الآيات للإزدياد لبلوغ درجة الكمال فى اليقين والإزدياد فى التصديق والإيمان لزيادة الدرجات فى الآخرة مثل ما حدث لسيدنا ابراهيم عليه السلام عندما ذكر الله عز وجل قصته فى القرآن الكريم (وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ المُوقِنِينَ)[3]. المقصود بها زيادة الإيمان واليقين.

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ١١٨ .

(٢) تفسير الطبرى جـ ٢ ص ٥٧٧ .

(٣) سورة الأنعام، الآية : ٧٥ .

وفـــى موضـــع آخر قصد بها طمأنينة القلب وتثبيته من التساؤلات التى ترد عليه من نفسه: قال تعالى : (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي)[1].

فالشـــك على الأنبياء فى ذلك المقام مستحيل لعصمتهم من استيلاء الشـــيطان عليهم ولكن لرغبة فى نفس سيدنا إبراهيم أجاب عنها لرب العباد حين قال له : (أولم تؤمن) فقال : (بلى ولكن ليطمئن قلبى) .

قال القرطبى : " وإنما سأل أن يشاهد كيفية جمع أجزاء الموتى بعد تفـــريقها وإيصـــال الأعصـــاب والجلود بعد تمزيقها فأراد أن يترقى من علم اليقين إلى حق اليقين"[2].

والقـــرآن الكريم أمرنا عند التحدث على شىء ما بالحجة والبرهان والمجادلـــة الســـليمة الصـــحيحة قال تعالى : (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَـــةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)[3] والحكمة الغرض منها هنا البرهان والحجة الدامغة على ما يقول

القرآن يذم من لم يأخذ باليقين وأسبابه :

لقد ذم القرآن الكريم أهل الأهواء والبدع غير الموقنين بآيات الله عز وجـــل المعاندين الجاحدين الذين يقلدون آباءهم تقليداً أعمى بلا فكر ولا نظر ولا روية .

قـــال تعـــالى فـــى شـــأن من يتبعون أهواءهم بغير علم ولا هدى : (يَـــا دَاوُودُ إِنَّـــا جَعَلْـــنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ)[4].

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٦٠ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى جـ ٣ ص ٢٩٩ .

(٣) سورة النحل ، الآية : ١٢٥ .

(٤) سورة ص، الآية : ٢٦ .

(والقـرآن يجعـل مسئولية الإيمان قائمة على الإلزام الفردى، أو التكليف الفردى بعيداً عن الجماهيرية والتلقائية والتقليد الأعمى. ولذا فإنه يعود إلى وعى الإنسان بذاته ومركزه فى الكون . ويجعل محور العلاقة بين الإنسـان وربـه يقيـناً واضـحاً بعيداً عن أى مؤثر سواء أكان هو النفس باعتـبارها قوة ضغط داخلية ــ أم كان طاغوت الجاهلية باعتباره قوة ضغط خارجية أيا كانت هوية هذه السلطة ونمطها اجتماعياً كان أم سياسياً أم قبلياً أو وراثـة وتقديساً لموروثات الآباء والأجداد لمجرد أنها أخذت صفة القربة أو لمجـرد قدمهـا، ولذا نجد القرآن يحارب باستمرار هذين العدوين لليقين الهوى والطاغون)[1].

لذلـك قـال تعـالى : (بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ)[2] .

فالتقلـيد الأعمى بدون إعمال نظر يؤدى إلى صاحبه إلى مالا يحمد عقـباه. فأمـرنا الله عز وجل بالنظر فى الكون وتدبر معانى القرآن الكريم بالتأمل والتفكير وإعمال الفكر بعيداً عن المؤثرات الخارجية والداخلية. فمن الضـرورى أن يصـل إلـى اليقيـن بوجود مدبر لهذا الكون منفرد بالخلق والإيجـاد . قال تعالى : (أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ)[3] وأيضاً (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَـاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ)[4] والقرآن فيه الكثير من الأدلة الكونية الشاهدة على وجود الله عز وجل.

ولكـن هـناك تقليد للإيمان وذلك جائز وهناك تقليد للكفر وذلك هو الذى ذمه القرآن الكريم وأمر بالابتعاد عنه .

---

(١) نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة ص ١٨٧ .

(٢) سورة الزخرف، الآية : ٢٢ .

(٣) سورة النساء الآية : ٨٢ .

(٤) سورة فصلت ، الآية : ٥٣ .

(والمعـرفة والعلم بمعنى واحد على الصحيح وهو الإدراك الجازم المطـابق للواقـع الموجب) فشمل الضرورى والنظرى وخرج بقيد الجازم الظن وبالمطابق الاعتقاد الفاسد كاعتقاد الفلسفى قدم العالم وبقوله (الموجب) بكسر الجيم أى مقتضى من دليل أو حس أو وجدان .

الاعـتقاد الصـحيح كاعـتقاد سنية صلاة العيدين والذى يكفى فى المعـرفة الدلـيل الإجمالى اتفاقاً وهو المعجوز عن تفصيله وحل الشبه عنه كـأن يعرف وجوده تعالى بكونه خالقاً للعالم ، وأما التفصيلى وهو المقدور فيه على ما ذكر وجوبا عينياً بل وجوباً كفائياً لصون الدين بدفع الخصوم.

وأمـا التقليد الذى هو الأخذ بقول الغير من غير حجة أى الاعتقاد الجازم المتمسك فيه بمجرد قول الغير .

فقد اختلف فيه فقيل إنه يكفى فى عقائد الإيمان وهو الصحيح فإيمان المقلـد صحيح وعليه فهل يجب النظر فيكون مع صحة إيمانه عاصياً بترك النظر الموصل للمعرفة وهو الصحيح)[1].

وإيمـان المقلد هو إيمان عوام الناس حيث أنهم غير صالحين للنظر بالأدلـة العقلـية كغيرهم من العلماء وهو إيمانهم ويقينهم صحيح إذا وافق الشرع وما عليه أهل السنة والجماعة ولم يكن التقليد خروجاً عن الدين .

وتحدث الغزالى عن إيمان العوام ويقينهم قائلاً :

(ان أخـبرك من جربته بالصدق، ولم تعرفه بالكذب، ولا اتهمته فى القـول، فـإن قلـبك يسكن إليه. ويطمئن بخبره بمجرد السماع، وهذا هو الإيمـان بمجرد التقليد وهو مثل إيمان العوام . فإنهم لما بلغوا سن التمييز، سمعوا من آبائهم وأمهاتهم وجود الله تعالى، وعلمه وإرادته وقدرته وسائر صفاته، وبعثة الرسل وصدقهم وما جاءوا به، وكما سمعوا به قبلوه، وثبتوا

---

(١) شـرح الخـريدة فى علم التوحيد لسيدى أحمد الدردير ص ١٣ تعليق حسين عبد الرحيم مكى .

علـيه، واطمـأنوا إليه، ولم يخطر ببالهم خلاف ما قالوه لهم، لحسن ظنهم بآبائهم وأمهاتهم ومعلميهم . وهذا الإيمان سبب النجاة فى الآخرة، وأهله من أوائل رتب أصحاب اليمين، وليسوا من المقربين . لأنه ليس فيه كشف وبصيرة وانشراح صدر بنور اليقين . إذاً الخطأ ممكن فيما سمع من الآحاد، بـل مـن الأعـداد، فـيما يتعلق بالاعتقادات فقلوب اليهود والنصارى أيضاً مطمئـنة بمـا يسمعونه من آبائهم وأمهاتهم ، إلا أنهم اعتقدوا ما اعتقدوه خطـأ، لأنهـم ألقـى إليهم الخطأ . والمسلمون اعتقدوا الحق، لا لإطلاعهم عليه، ولكن ألقى إليهم كلمة الحق)[1].

والـنظر العقلـى طريق للإيمان إذ أن القرآن قد دعا إلى النظر فى الكـون والأنفـس ووجه عقول وقلوب وحواس البشر إلى التفكر فى الكون المـنظور ورفـع من شأن من يعلم ويستخدم عقله فقال تعالى : (يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ)[2].

واليقيـن ليس طريقه الوحيد النظر العقلى كما يقع بالتقليد عن وعى وفكـر وفـى ذلك قال ابن تيمية : (غاية ما يقول أحدهم : إنهم جزموا بغير دليل وصمموا بغير حجة، وإنما معهم التقليد، وهذا القدر يكون فى كثير من العامـة لكن جزم العلم غير جزم الهوى فالجازم بغير علم يجد من نفسه أنه غـير عـالم بمـا جـزم به، والجازم بعلم يجد من نفسه أنه عالم. إذ كون الإنسان عالماً وغير عالم مثل كونه سامعاً ومبصراً وغير سامع وغير مبصر فهـم يعلـم من نفسه ذلك مثل ما يعلم من نفسه كونه محباً ومبغضاً ومريداً وكارهـا ومسروراً ومحزوناً ومنعماً ومعذباً وغير ذلك . ومن شك فى كونه يعلـم ــ مـع كونه يعلم ــ فهو بمنزلة من جزم بأنه علم وهو لا يعلم وذلك نظـير مـن شك فى كونه سمع ورأى وجزم بأنه سمع ورأى ما لم يسمعه ويـراه . والغلـط أو الكـذب يعرض للإنسان فى كل واحد من طرفى النفى

---

(١) إحياء علوم الدين جـ ٨ ص ٢٧ دار الغد العربى .

(٢) سورة المجادلة ، الآية : ١١ .

والإثبات . لكن هذا الغلط أو الكذب العارض لا يمنع أن يكون الإنسان جازماً بما لا يشك فيه من ذلك .

فالأسباب العارضة لغلط الحس الباطن أو الظاهر والعقل بمنزلة المرض العارض لحركة البدن والنفس . والأصل هو الصحة في الإدراك وفي الحركة فإن الله خلق عباده على الفطرة)[1].

فالغرض من كلام ابن تيمية أن التقليد يوعي يفيد اليقين لأن الأصل في الأشياء هو الصحة في الإدراك والحركة . حتى ولو لم يكن عندهم دليل أو برهان إذا كانت الفطرة سليمة فيكون اليقين قوياً وسليماً أيضاً .

وأحياناً كثرة الذكر والعبادة عند الصوفية وعند العامة تولد لديهم اليقين بدون دليل مادي وإنما حسهم الداخلي يجعل يقينهم في قوة وأزدياد.

درجات اليقين في القرآن الكريم:

القرآن الكريم جعل لليقين درجات ثلاث جاءت بها الآيات : علم اليقين ــ وعين اليقين ــ وحق اليقين .

قال سبحانه : (كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ)[2].

ففي هذه الآيات ذكر علم اليقين وعين اليقين أي بالإدراك تستطيع رؤية الجحيم ثم تراه بالفعل بالعين الباصرة .

وقال تعالى : (وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ)[3].

---

(١) نقض المنطق لابن تيمية ص ٢٦ ــ ٢٧ تحقيق الشيخ محمد حمزة ومحمد الضبع ط ١ السنة المحمدية القاهرة ١٣٧٠ هـ ــ ١٩٥١ م .

(٢) سورة التكاثر ، الآية : ٥ ــ ٧ .

(٣) سورة الحاقة، الآية : ٥١ ــ ٥٢ .

الدرجـــة الأولى : علم اليقين (وهو قبول ما ظهر من الحق وقبول ما غاب للحق . والوقوف على ما قام بالحق) .

وقد ذكر ابن القيم لدرجة علم اليقين هذه أركاناً ثلاثة :

(الأولـــى : (قـــبول ما ظهر من الحق تعالى) . والذى ظهر منه سبحانه أوامره ونواهيه وشرعه ودينه الذى ظهر لنا منه على ألسنة رسله . فلنـــتلقاه بالقـــبول والإنقياد، والإذعان والتسليم للربوبية والدخول تحت رق العبودية .

الـــثانى : (قـــبول ما غاب للحق) وهو الإيمان بالغيب الذى أخبر به الحـــق سبحانه على لسان رسله من أمور المعاد وتفصيله ، والجنة والنار، ومـــا قـــبل ذلك : من الصراط والميزان والحساب، وما قبل ذلك : من تشقق السماء وانفطارها، وانتثار الكواكب، ونسف الجبال، وطى العالم .

وما قبل ذلك : من أمور البرزخ ونعيمه وعذابه .

قـــبول هـــذا كلـــه ــ إيماناً وتصديقاً وإيقاناً ــ هو اليقين . بحيث لا يخـــالج القلب فيه شبهة . ولا شك ولا تناسى ، ولا غفلة عنه . فإنه إن لم يهلك يقينه أفسده وأضعفه .

الثالـــث : (الوقوف على ما قام بالحق) سبحانه من اسمائه وصفاته وأفعالـــه وهـــو علم التوحيد الذى أساسه إثبات الأسماء والصفات . وضده التعطيل والنفى ، والتجهم . فهذا التوحيد يقابله التعطيل)[1].

(وقـــال زكـــريا الأنصـــارى : اليقيـــن عند جماعة هو توالى العلم بالمعلوم حتى لا يكاد يغفل عنه فهو أخص من العلوم، وعن آخرين هو العلم وأن هذه المصطلحات تتفاوت فى القوة بناء على أن اليقين مقول على أفراده بالتشكيك وفسر عين اليقين بأنه ما كان بطريق الكشف والنوال)[2].

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم الجوزية جـ ٢ ص ٤١٨ ، ٤١٩ .

(٢) الرسالة القشيرية ص ٤٧ طبعة الحلبى .

ويقـول الكلاباذى : (علم اليقين : هو العلم اللدنى أو العلم الإلهى الـذى لا شـك فـيه ولا ريـب، وهـو مـنحة ربانية يحظى بها الأولياء والصـالحون، والمقـربون، والصديقون، عن طريق الإلهامات، والتجليات، والفـتوحات ، والكشوفات ، والشاهدات ، والفيوضات، والرؤى، وهذا العلم سـر الأسرار يودعه الله قلب عبده المخلص، ولقد ذكر هذا العلم فى القرآن الكريم فى آيات عديدة :

(فَوَجَـدَا عَـبْداً مِّـنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً)(١)(٢).

وهذا العلم هو علم وهبى غير كسبى وهو يقينى ذاتى للشخص نفسه لأنـه يأتى عن طريق الإلهام أو المنامات أو كلام يقع فى صدر الإنسان من الله العلى القدير .

الدرجة الثانية : عين اليقين (وهو المعنى بالإستدلال عن الاستدلال وعن الخبر بالعيان . وخرق الشهود حجاب العلم) ...

يـريد بالإستدلال : الإدراك والشهود . يعنى صاحبه قد استغنى به عن طلب الدليل . فإنه إنما يطلب الدليل ليحصل له العلم بالمدلول .فإذا كان المدلول مشاهداً له

وقد أدركه بكشفه ـ فأى حاجة به إلى الاستدلال؟

وهذا معنى "الاستغناء عن الخبر بالعيان " .

وأما قوله " وخرق الشهود حجاب العلم " .

فـيريد بـه : أن المعارف التى تحصل لصاحب هذه الدرجة هى من الشـهود الخـارق لحجاب العلم . فإن العلم حجاب عن الشهود . ففى هذه

---

(١) سورة الكهف، الآية : ٦٥ .

(٢) التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذى ص ١٢٢ .

الدرجة يرتفع الحجاب . ويفضى إلى المعلوم ، بحيث يكافح بصيرته وقلبه مكافحة)[1].

فعيـــن اليقين هى درجة المشاهدة فى الواقع بدلاً من العلم والإدراك فقط فهى أقوى من الدرجة الأولى وأيقن فى العلم بها لأنها فى موضع العيان والمشاهدة .

وفـــى الرســـالة القشيرية : (قال بعضهم ــ الصوفية ــ اليقين هو المكاشـــفة والمكاشـــفة علـــى ثلاثة أوجه مكاشفة بالأخبار ومكاشفة بإظهار القدرة ومكاشفة القلوب بحقائق الإيمان .

وأعلـــم أن المكاشـــفة فـــى كلامهم عبارة عن ظهور الشىء للقلب باستيلاء ذكره من غير بقاء للريب وربما أرادوا بالمكاشفة ما يقرب مما يراه الرائى بين اليقظة والنوم وكثيراً ما يعبر هؤلاء الحالة بالثبات)[2].

إذن يقيـــن المكاشفة هو يقين العيان والمشاهدة والثبات على الأمر وعدم الشك

الدرجة الثالثة : حق اليقين (وهو إسفار صبح الكشف ثم الخلاص مـــن كلفة اليقين ثم الفناء فى حق اليقين ... يعنى تحققه وثبوته، وغلبة نوره على ظلمة ليل الحجاب فينتقل من طور العلم إلى الإستغراق فى الشهود بالفناء عن الرسم بالكلية .

وقوله : " ثم الخلاص من كلفة اليقين " .

يعنى : أن اليقين له حقوق يجب على صاحبه أن يؤديها.ويقوم بها ويـــتحمل كلفها ومشاقها. فإذا فنى فى التوحيد حصل له أمور أخرى رفيعة عالـــية جـــداً يصـــير فيها محمولاً، بعد أن كان حاملاً ، وطائراً بعد أن كان

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم الجوزية جـ ٢ ص ٤٢٠ .

(٢) الرسالة القشيرية ص ١٤٢ .

سائراً . فتزول عنه كلفة حمل تلك الحقوق . بل يبقى له كالنفس، وكالماء للسمك . وهذا أمر التحاكم فيه إلى الذوق والإحساس . فلا تسرع إلى إنكاره)[1].

هذه الدرجة هى منتهى غاية الواصلين ورجاء العارفين فهى حق اليقين ويقال أن هذه الدرجة لا تكون إلا للإنبياء والمرسلين . فإن الرسول عليه الصلاة والسلام رأى بعينه فى الدنيا الجنة والنار وموسى عليه السلام سمع كلام الله منه بلا واسطة.

أقسام اليقين القرآنى :

نستطيع أن نقسم اليقين القرآنى إلى ثلاثة أقسام يقين موضوعى ــ ويقين ذاتى أو نفسى ــ ويقين حدسى .

(١) اليقين الموضوعى :

هو اليقين المرتبط بالموجودات والحقائق الحسية والعقلية ويمكن لأى انسان إدراك ذلك اليقين لأنه ذو طابع حسى خارجى . ومن ذلك اليقين قوله تعالى : (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنشُوراً اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً)[2].

وقال تعالى : (هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم الجوزية جـ ٢ ص ٤٢١ .

(٢) سورة الإسراء ، الآية : ١٢ ــ ١٤ .

وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ)[1].

فالقرآن الكريم تحدث فى آياته عن الحقائق الحسية التى تصل بالإنسان إلى الحقائق اليقينية العقلية الدالة على وجود الله عز وجل والمنفرد بالإيجاد والقدرة والإرادة .

(٣) اليقين الذاتى أو النفسى :

وهو ما يكون صادراً من داخل النفس الإنسانية التى تدعو إلى طمأنينة القلب . فالإنسان يكون عنده يقين داخلى ولكن يجب أن يؤكده برؤية العين مثل قصة سيدنا ابراهيم عليه السلام .

قال تعالى : (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي)[2].

فهنا لا يشك أحد فى يقين سيدنا إبراهيم بوجود ربه القادر على كل شىء ولكن أراد زيادة اليقين والطمأنينة وهو شعور داخلى نفسى .

(فإذا كانت النفس عالمة باستعدادتها الفطرية السليمة فلا يكون الدليل إلا تنظيماً عقلياً للفطرة والإيمان عن طريق العلم سواء أكان بالنظر أو بسلامة الفطرة ووعيها بما تلقنته أو تعلمته أو بالتقيد عن علم ووعى هو إيمان مقبول وإذا كان الإيمان يتفاوت فى درجاته قال تعالى : (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُـوَ وَالْمَلاَئِكَـةُ وَأُوْلُـوا الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)[3].

وقال سبحانه : (يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)[4].

---

(١) سورة النحل ، الآية : ١٠ ــ ١٣ .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٢٦٠ .

(٣) سورة آل عمران ، الآية : ١٨ .

(٤) سورة المجادلة ، الآية : ١١ .

وقال سبحانه : (بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ)(١)(٢).

فهنا اليقين النفسى له دور مهم فى استقامة الجوارح والقلوب وتلقى أوامر الله عز وجل ونواهيه بالقبول والتسليم والرضا . وما أرتقى المؤمنون الدرجات العليا إلا باليقين النفسى .

(٣) اليقين الحدسى :

(وهو يقين لا يحصل بطريقة موضوعية كما أنه متميز عما أسميناه بالاقتناع الذاتى، أو اليقين النفسى وإنما هو يقين مرتبط بحقائق الحدس والإيمان مثل التوكل فمن الواجب على المؤمن أن يكون متوكلاً على الله فى كل حال فمثل هذا اليقين لا يكون بالتعامل مع الخارج أو الواقع ولا مع الذات وإنما يكون بمقتضى مفهوم الإيمان . يقول سبحانه :

(وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً)(٣)(٤).

وبما أن الإنسان مخلوق من مادة وروح فالمادة محسوسة وعالم الروح غير محسوس من الأمور الغيبية على الإنسان فكان من الضرورى وجود معرفة حدسية لا هى تخضع للحس ولا للعقل هى نور البصيرة التى يمنحها الله عز وجل داخل النفس الإنسانية تقوى عنده اليقين الداخلى .

زيادة اليقين ونقصه :

اليقين يتفاوت بين شخص وآخر على حسب زيادة الإيمان ونقصه لأن حقيقة الإيمان هى اليقين أو التصديق (آمنت بالله ، أى عرفته معرفة

---

(١) سورة العنكبوت ، الآية : ٤٩ .

(٢) نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة ص ٢١٠ .

(٣) سورة الطلاق ، الآيات ٢ ، ٣ .

(٤) نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة ص ٢١٧ .

بلغت حد اليقين، وأسلمت له، أى خضعت لحكمه عن طواعيه وإنقياد . وكلمتا الإيمان والإسلام فى نظر الشرع مترادفتان أو متلازمتان .

فحقيقة الإسلام تتضمن أداء العبادات المطلوبة، فهى تصديق بالله وتنفيذ لأمره

وحقيقة الإيمان تنطوى على المعرفة الصحيحة والقيام بحقوقها .

ومن ثم فمعنى اليقين ملحوظ فى الإسلام ، ومعنى الخضوع ملحوظ فى الإيمان . ولا يقبل إسلام خلا عن اليقين، كما لا يقبل إيمان تجرد عن الخضوع لله .

وقوله تعالى : (قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ)[1]، فإن هذا الإسلام الذى ذكرته الآية، ليس الدين الحق الذى عنته الآية الأخرى : (وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ)[2].

بل هو خضوع عن قهر ونفاق ، ولا قيمة له إلا إذا سكن الإيمان القلب واستقر فيه. والإيمان المعتبر ، ما اقترن بالسمع والطاعة، وتطهر من الجحود والاستكبار عن أمر الله[3].

ولكن هناك بعض الناس أشكل عليه أمر زيادة اليقين والإيمان ونقصهما. فهناك من قال أن درجة اليقين والإيمان لا تزداد ولا تنقص والبعض قال تزداد لتنال الدرجات العلا فى الآخرة لأن الآخرة درجات فيكون الإيمان واليقين درجات، فيقين وإيمان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

---

(١) سورة الحجرات ، الآية : ١٤ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ٨٥ .

(٣) عقيدة المسلم . محمد الغزالى ص ١٢٢ طبعة دار الكتب الإسلامية القاهرة سنة ١٩٨٤م .

أقوى من يقين وإيمان غيره من الصحابة وغيرهم من عامة المسلمين هكذا سنة الله فى الخلق حتى أن الأنبياء والرسل درجات حتى الملائكة درجات .

(ومن أشكلت عنده قضية الزيادة والنقص ورفضها إنما لأنه عرف الإيمان بأنه التصديق وأن التصديق لا يعتد به ولا يكون صحيحاً إلا إذا وصل إلى درجة اليقين . واليقين المنطقى عند هؤلاء لا يقبل الزيادة والنقص، لأن اليقين عندهم الأعتقاد بأن الشىء كذا ولا يمكن أن يكون إلا كذا، والنزول عن مرتبة اليقين إنما هو إلى الظن أو الشك وليس الظن أو الشك إيماناً يعتد به، بل الشك كفر صريح . ولكن هذا غير صحيح لأن الظن لا يُغنى عن الحق شيئا ولا يعتد به إيماناً صحيحاً إذا جاز فيه وقوع الطرف الآخر المناقض أى إذا لوحظ فيه طرفان متناقضان : أحدهما أن هذا الأمر ثابت والثانى : يحتمل احتمالاً ضعيفاً ألا يكون ثابتاً . فإذا جزم الذهن بأنه ثابت ولم يتصور النقص أى عدم الثبوت كان جزمه هذا إيماناً، وإن لم يكن ناشئاً عن برهان مؤلف من المقدمات اليقينية فى عرف علماء المنطق على طريقهم ، ولا ملاحظاً فيه استحالة له الطرف الآخر . وأكثر المؤمنين بالله والمؤمنين بالجبت والطاغوت فى هذه المرتبة من الإيمان . ويصح أن يطلق على أهلها لفظ مؤمنين أو الموقنين، ولو كان الإيمان لا يصح إلا ببرهان منطقى على إثبات قضاياه واستحاله ضدها ، لما تصور أن يرتد أحد عن الإسلام بعد دخوله لأن اليقين بهذا المعنى لا يمكن الرجوع عنه وإن أمكن مكابرته ومجاحدته باللسان)[1].

(إذ لو لم تتفاوت حقيقة الإيمان وتتفاضل لكان إيمان آحاد الأمة المنهمكين فى الفسق والمعاصى مساوياً لإيمان الأنبياء والصديقين والملائكة المقربين وتصور هذا المذهب ولوازمة يغنى عن إقامة البرهان على رده مع ما فى الآيات الصريحة والأحاديث الصحيحة من التفاضل والتفاوت فدع عنك

---

(١) نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة ص ٢٠٥ .

هـذا التمادى والتهافت .. وما اعترض عليه به من أنه متى قبل ذلك كان شـكاً فمدفوع بأن مراتب اليقين متفاوته إلى علم اليقين وعين اليقين وحق اليقيـن مع أنها لا شك معها، وفى القرآن العظيم ما حكى عن إبراهيم خليله بقوله (ولكن ليطمئن قلبى) وتقدمت قصة موسى لما رأى قومه عاكفين على عـبادة العجـل مع ما كان أخبر الله تعالى بذلك أولاً، وقال الامام أبو حنيفة وأصـحابه ومن تبعهم من المتكلمين الإيمان لا يزيد ولا ينقص محتجين بأنه اسـم للتصـديق الـبالغ . بحد الجزم والإذعان، والمعلوم من النقل والعقل خلافه)[1].

نعم الإيـمان واليقين يزيد وينقص ويتفاضل ويتكامل بنص الآيات التى سـبق ذكـرها وأيضاً بكثرة النظر ووضوح الأدلة ، وكذلك النظر فى النفس الإنسـانية الخاصة بكل فرد على حده ينظر الإنسان يرى نفسه مرة فى غاية الصـفاء والقـرب والإيمان من الله عز وجل ويكاد يطلع على حجب الغيب، ومـرة أخـرى جازع ناقص الإيمان بقضاء الله وقدره فى نفسه شك وريبة نعوذ بالله منها .

الحقيقة أختلف أهل العلم فى زيادة الإيمان ونقصه لأنهم اختلفوا فى معنى الإيمان على قولين :

القول الأول : إن الإيمان اسم يقع على الإقرار باللسان، والتصديق بالقلب ، والعمل بالجوارح ، وهو القول الذى ذهب إليه معظم أهل السنة .

القول الثانى : أن الإيمـان اسم يقع على الإقرار باللسان والتصديق بالقلب ، ولا يدخل فيه العمل بالجوارح .

ولكـنهم يقولون : إن العمل بكل ما صح عن رسول الله صلى الله علـيه وسلم من الشرائع والبيان حق وواجب على المؤمنين الذين اكتسبوا

---

(١) لوامع الانوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية للسفارينىّ جـ ١ ص ٤٣١ .

هـذا الاسـم بالإقـرار والتصديق . وكل فريق حاول أن يدعم رأيه بالأدلة والبراهين ولكن الخلاف نظرى وليس عملى .

يقـول شارح العقيدة الطحاوية : (الاختلاف الذى بين أبى حنيفة والأئمـة الباقين من أهل السنة، اختلاف صورى، فإن كون أعمال الجوارح لازمة لإيمان القلب أو جزءاً من الإيمان مع الاتفاق على أن مرتكب الكبيرة لا يخرج من الإيمان ، بل هو فى مشيئة الله، إن شاء عذبه، وإن شاء عفا عنه نزاع لفظى لا يترتب عليه فساد اعتقاد)[1].

ان العمـل بالجوارح لا يختلف الفريقان فى تحديد قيمته وأهميته فى ديـن الله، وإن اخـتلفوا فـى كيفيته . فالذين اعتبروه جزءاً من الإيمان لم يجعلـوه كالإقـرار باللسان والتصديق بالجنان، من حيث ذهاب أسم الإيمان بذهابهمـا وعدم ذهاب هذا الاسم بعدم العمل، والآخرون وإن لم يعتبروه من أجزاء الإيمان فهم يرون وجوبه، لأنه من لوازم الإيمان .

الحقـيقة أن العقـل يقتضـى زيـادة الإيمان بعمل الطاعات والذكر والعـبادة وأعمـال الخـير باختلاف أنواعها وفى هذه الحالة يشعر الإنسان بزيادة إيمانه وقربه من الله عز وجل، وإن انتقصت تلك الأشياء من شخص ما يشعر هو بنفسه أنه بعيد عن الله عز وجل وكذلك كل من يختلط به يشعر بذلـك مـن خلال أقواله وأفعاله . لقد ابتعد هذا الشخص عن الله عز وجل فابتعد الله عنه .

والقـرآن الكـريم أيد ذلك أيضاً فى قوله تعالى : (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِيـنَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِـمْ يَتَوَكَّلُونَ)[2] وقوله تعالى : (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ)[3].

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٧٤ .

(٢) سورة الأنفال ، الآية : ٢ .

(٣) سورة آل عمران ، الآية : ١٧٣ .

وقوله تعالى : (هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَّعَ إِيمَانِهِمْ)[1].

ومن الأحاديث الدالة على زيادة الإيمان قول النبى صلى الله عليه وسلم : " الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها قول لا اله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان"[2].

وقوله صلى الله عليه وسلم : " أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً"[3].

وقوله صلى الله عليه وسلم " من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف ا يمان"[4].

وكان عمر رضى الله عنه وأرضاه يقول لأصحابه :

"هلموا نزداد إيماناً فيذكرون الله عز وجل".

فظاهر النصوص تدل على زيادة الإيمان بفعل الطاعات ونقصه بعدم فعلها . وعلى الإنسان المسلم أن ينظر مواطن زيادة الإيمان ويسير فيها ويبعد عن مواطن ضعف الإيمان ونقصه وقانا الله من ذلك وإياكم.

شمول اليقين القرآنى :

الأدلة اليقينية فى القرآن الكريم شاملة وعامة للناس جميعاً تتفاوت فى الفهم بتفاوت عقول الناس . فهناك الأدلة الفطرية والقلبية والنفسية والبرهانية والجدلية والخطابية .

(وشمول هذه الأدلة لكافة طبقات الناس مع اختلاف مراتبهم فاليقين القرآنى مسلك للعامة والخاصة فى حين أن اليقين الفلسفى أو البرهانى

---

(١) سورة الفتح ، الآية : ٤ .

(٢) متفق عليه واللفظ لمسلم . انظر : صحيح البخارى مع فتح البارى جـ ١ ص ٤٤ وصحيح مسلم بشرح النووى جـ ١ ص ٦ .

(٣) رواه الترمذى والحاكم .

(٤) صحيح مسلم بشرح النووى جـ ٢ ص ٢٢ .

مسلك للخاصة ممن يجيدون استعمال منطق القياس . كما تميز القرآن فى إثباته للحقائق اليقينية التى دعا إليها بالكفاية فى الاستدلال ، إيجاباً فى إثبات الحقائق وعرضها على حقيقتها كما هى ، وإيجاباً فى الرد على الآراء الباطلة ، والإعتقادية المزيفة دون أن يخرج على حقائقها ويقينيتها مادة وأسلوباً)[1].

والعلم إما تصور أو تصديق والتصديق هو اليقين وابن رشد ذكر طرق أربعة للتصديق عند أكثر الناس فى القرآن الكريم .

(أحدها : أن تكون مع أنها مشتركة خاصة بالأمرين جميعاً، أعنى أن يكون فى التصور والتصديق يقينية مع أنها خطابية أو جدلية. وهذه المقاييس هى المقاييس التى عرض لمقدماتها مع كونها مشهورة، أو مظنونة أن تكون يقينية وعرض لنتائجها إن أخذت نفسها دون مثالاتها وهذا الصنف من الأقاويل الشرعية ليس لها تأويل ، والجاحد له أو المتأول منكر .

والصنف الثانى : أن تكون المقدمات مع كونها مشهورة أو مظنونة يقينية وتكون النتائج مثالات للأمور التى قصد إنتاجها . وهذا يتطرق إليه التأويل .

والثالث : عكس هذا وهو أن تكون النتائج هى الأمور التى قصد إنتاجها نفسها وتكون المقدمات مشهورة أو مظنونة من غير أن يعرض لها أن تكون يقينية وهذا أيضاً لا يتطرق إليه تأويل، أعنى لنتائجه ، وقد يتطرق لمقدماته .

والرابع : أن تكون مقدماته مشهورة أو مظنونة من غير أن يعرض لها أن تكون يقينية وتكون نتائجه مقالات لما قصد إنتاجه. وهذا فغرض الخواص فيه التأويل، وغرض الجمهور إمرارها على ظاهرها.

---

(١) نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة ص ٢١٧ .

وبالجملة فكل ما يتطرق إليه من هذه التآويل لا يدرك إلا بالبرهان، فغرض الخواص فيه هو ذلك التأويل وغرض الجمهور هو حملها على ظاهرها فى الوجهين ، أعنى التصور والتصديق، إذ ليس فى طباعهم أكثر من ذلك)[1].

فنرى ابن رشد يبين أنه إذا قامت المقدمات على المشهور أو المظنون ، وتكاثرت الطرق صارت يقينية من حيث النتيجة ولا يصح إنكارها ولا تأويلها .

وإذا كانت المقدمات مظنونة أو مشهورة وليس لها مرادفات ترفعها إلى درجة اليقين والنتيجة ليست يقينية فالتأويل يجرى فى النتيجة والمقدمات إذا تعارضت طرائق الاستدلال .

وإذا كانت المقدمات مشهورة أو مظنونة وهناك أدلة قوية تنتج يقيناً والنتيجة تحتمل عدة صور متشابهة فإن التأويل لا يدخل فى المقدمات ولكن يدخل فى النتائج .

وقد تكون المقدمات مظنونة أو مشهورة ولا يقين فيها ولكنها تنتج نتيجة واحدة ، فإنها لا تقبل التأويل فى النتيجة وتقبل التأويل فى المقدمات[2].

كان للقرآن الكريم طرقه المتميزة فى إثبات الحقائق وموضوعاتها وإقناع جميع الناس بحسب مستوياتهم الفكرية والثقافية ومداركهم واستعداداتهم العقلية والوجدانية يأخذهم من مسلمات يقينية لا يستطيعوا إنكارها بتوجيه أنظارهم وعقولهم إلى الآفاق الكونية ، وإلى البديهيات العقلية والنفسية التى لا يختلف عليها .

---

(١) فصل المقال لابن رشد ص ٢٩ ــ ٣٠ المكتبة المحمودية بالقاهرة ١٣٨٨ هـ .

(٢) انظر بتصرف المعجزة الكبرى (القرآن) ص ٣٣٢ لأبى زهرة نشر دار الفكر العربى القاهرة ١٣٩٠ هـ ــ ١٩٧٠ م .

قال تعالى : (أَوَ لَمْ يَرَ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَى وَهُوَ الْخَلاَّقُ الْعَلِيمُ)[1].

فتلك المقدمات بديهية لا يستطيع عاقل أن ينكرها ويسلم بها فى الحال .

أما الدليل البرهانى لقد جاء القرآن الكريم فى كثير من الآيات وبالأدلة القاطعة على وجود الله عز وجل وكل ما فى الكون من أمور حسية أو غيبية بيده تعالى لأنه هو وحده المنفرد بالخلق والإيجاد والتدبير . قال تعالى : (قَدْ بَيَّنَّا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ)[2].

إذن لا يصل إلى درجة اليقين إلا من آمن بالله عز وجل وما انزل على رسوله صلى الله عليه وسلم على وجه الكمال الذى لا يشوبه ريب أو شك أو ظن .

---

(١) سورة يس ، الآيات : ٧٧ ــ ٨١ .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ١١٨ .

المبحث الثانى

اليقين فى الفلسفة

المعــرفة اليقينية هى غاية كل فيلسوف فهو يبحث فى أنواع كثيرة من المعارف بغرض الوصول إلى اليقين والتصديق .

والضــرورة تســميها المناطقة مصادر المعرفة اليقينية ومن أشهر أنواعها الحسيات والمجربات كقولهم : الثلج بارد، والخمر مسكر .

وهناك مبادئ أولية اعتمدت عليها الفلسفة للوصول إلى اليقين التى تسمى بقوانين الفكر الأساسية (وتتمثل المبادئ الأولية التى فطر عليها العقل فــى تلــك الأحكــام الكلية مثل الكل أعظم من الجزء، الواحد نصف الأثنين، الأشياء المساوية لشىء واحد متساوية ، وقد حاول بعض الفلاسفة حصرها بشــكل كلــى، فجعلوهــا أربعة تنبثق منها، أو تقوم عليها المبادئ الأخرى وهى :

١ – مبدأ الهوية، الذى يقضى بأن ما هو هو وما ليس هو ليس هو، أى : أن الشىء لا يكون غيره .

٢ – مــبدأ عدم التناقض الذى يقضى بأن الشىء الواحد لا يمكن أن يكون، وأن لا يكون معاً .

وهــذا المبدأ أهم المبادئ العقلية، وجوهر الفكر المنطقى، وهو لازم لكل معرفة بحيث لا يمكن التيقن من صحة معرفة بدون الإرتكان إليه.

٣ – مــبدأ نفى الثالث (الوسط المستبعد) الذى يقضى بأن كل شىء هو إما (أ) أولا (أ) ولا وسط بينهما، فالعدد زوج أو فرد، ولا يمكن أن يكون إلا أحدهما .

والمــبدأن الثانى والثالث مرتبطان، لأن مقتضى الثانى أن النقيضين لايكونــان معــاً، ومقتضــى الثالث أنهما لا يرتفعان معاً، بل لا بد أن يكون أحدهما .

٤ – مبدأ العلية ومقتضاه أنه لا يمكن أن يحدث شيء دون أن يكون هناك سبب أو علة محددة ، تصلح تفسيراً لحدوثه، وتكون هذه العلة كافية إذا كانت قادرة وحدها على التفسير الحقيقى الكامل لذلك الحدوث)[١].

اليقين فى الفكر اليونانى :

ومن أجل معرفة اليقين فى الفكر اليونانى نبدأ من السوفسطائيين لأنهم برعوا فى فنون الجدل والخطابة وذلك لما تمتعوا به من علم واسع بأسرار اللغة والبلاغة ، فضلاً عن أنهم أثروا تأثيراً كبيراً فى فكر شباب اليونان لأنهم كانوا يمتهنون مهنة تعليم الناس العلوم .

(فقد قام السوفسطائيون بدور فكرى كبير فى بلاد اليونان ، ولم يقتصر دورهم على تعليم القادرين من أبناء بلادهم ، بل الحقيقة أنهم قاموا بثورة فكرية كبيرة، حيث حولوا اهتمام فلاسفة اليونان من التركيز على تفسير الطبيعة إلى التركيز على فهم الإنسان والتعبير عن قضاياه المختلفة وخاصة الأخلاقية والسياسية .

وقد شاركهم "سقراط" فى هذه الثورة الفكرية، فساهموا معاً فى تحويل مسار الفكر الفلسفى من تفسير الطبيعة إلى بحث قضايا الإنسان)[٢].

لا يوجد معيار للمعرفة اليقنية عند السوفسطائيين لأنهم قاسوا المعرفة الحقيقية بما يجلب لهم النفع حتى ولو كان ضاراً لغيره، فالمعرفة نسبية عندهم . فالإنسان الفرد هو مقياس وجود الأشياء ، فإن قال عن شيء ما أنه موجود فهو موجود بالنسبة له، وإن قال عن شيء إنه غير موجود فهو غير موجود بالنسبة له أيضاً .

---

(١) مصادر المعرفة فى الفكر الدينى والفلسفى ص ٣٢٤ ــ ٣٢٥ .

(٢) مدخل جديد إلى الفلسفة د/ مصطفى النشار ص ٤١ .

ويقول "جورجياس" ت : (٣٨٠ ق٠ م) وهو شاك فى الوجود: (لا يوجد شىء، وإذا وجد شىء فالإنسان قاصر عن إدراكه ، وإذا فرضنا أن الإنسان أدركه ، فلن يستطيع أن يبلغه لغيره)[١].

فهنا يبين استحالة المعرفة اليقينية الصادقة فهو فى شك من كل شىء ، وأنه لا شىء موجود وإن وجد لا يمكن إدراكه لعجز العقل عن إدراكه .

ويقول "بروتاغوراس " (٤٨٠ ــ ٤١٠ ق ٠م) شاكاً فى وجود الآلهة (أما الآلهة فلا استطيع أن أجزم بوجودهم أو عدم وجودهم، ولا أن أتصور أشكالهم ، وهناك من العوائق الكثيرة منها : غموض الموضوع وقصر حياة الإنسان)[٢].

(كما أنكر التفريق بين ما يدرك بالحس وما يدرك بالعقل، وأنكر الفرق بين الوجود الذهنى والوجود الخارجى فما يظهر للشخص أنه حقيقة يكون هو الحقيقة له، فإذا اختلفنا فى رؤية شىء، فما آراه أنا حق بالنسبة لى، وما تراه أنت حق بالنسبة لك٠ وإنه ليس هناك خطأ ، بل يستحيل وجود الخطأ ، فكل ما تراه صواب عندك، بل لفظنا الخطأ والصواب لا معنى لهما ، فليس هناك ما يسمى حقاً فى ذاته أو فى الواقع أو نحو ذلك)[٣].

الحقيقة هذا الشك فى المعارف ونسبيتها موضع تناقض شديد كيف يقومون بالجدل والمناظرة واستخدام العقل والألفاظ للتعليم والتعلم والتكسب من ذلك .

وفى نفس الوقت لا يقرون بيقينية المعرفة فلذلك قال الامام الغزالى يناقضون أنفسهم بأنفسهم ، وذلك لأنهم يعترفون بالمبادئ العقلية كوسيلة

---

(١) فلسفتنا ٠ محمد باقر الصدر ص ١٠٩ ط الخامسة دار الفكر بيروت ١٩٧٣ م .
(٢) قصة الفلسفة اليونانية ص ٦٦ ط السابعة لجنة التأليف القاهرة ١٩٧٠ م .
(٣) نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة ص ٨٣ ــ ٨٤ .

للمناظرة فى حين أنهم فى الوقت نفسه ينكرون هذه المبادئ (فالسوفسطائى كيف يناظر ومناظرته فى نفسه اعتراف بطريق النظر)[1]..

وقـد قال بوخينسكى ناقداً هذا الشك قائلاً : (عندما يزعم الشاك أن المرء لا يستطيع أن يعرف شيئاً فيمكن مجابهته بسؤال يقول : هل أنت على يقين من صحة هذه القضية التى تدعيها ؟

فإذا كانت إجابته بالإيجاب فإن هذا يعنى أن هناك شيئاً يقينياً، وأن معـرفة هـذا الشـيء أمر ممكن . وعلى ذلك يكون إدعاء الشاك باستحالة المعرفة إدعاء باطلاً)[2].

فالمعـرفة عـند السوفسـطائيين نسبية وتختلف باختلاف ما يعود للشخص فيها من منفعة فهى يقينية عنده إذا جلبت له نفعاً فلا يوجد عندهم حقيقة مطلقة أو يقينية على أى شيء .

(وهكذا أقر السوفسطائيون بأن "المنفعة" هى الأساس لقياس الخير والشـر عـند كل إنسان ، فما ينفعنى سيكون خيراً بالنسبة لى، وما يضرنى سيكون هو الشر . ومن ثم فقد ضاع فى إطار هذا الرأى أى أمكانية للإتفاق حـول خيرية فعل ما أو حول شرية فعل آخر ، فليس الصدق خيراً فى ذاته، ولا القتل شر فى ذاته ، بل أصبح الصدق خيراً بالنسبة لفرد ما فى موقف ما وقد يصبح شراً بالنسبة لنفس الفرد فى موقف آخر

وكذلـك "القتل" فلم يعد شراً مطلقاً ، بل قد يكون شراً فى وقت معين بالنسـبة لفرد معين ، وقد يكون خيراً بالنسبة له أو لغيره فى موقف معين آخر .

---

(١) معيار العلم للغزالى ص ٢٤١ . القاهرة ١٩٦١ م .

(٢) مدخل إلى الفكر الفلسفى ص ٥٣ .

وهكـذا لم يعد هناك أى معيار موضوعى لقياس الحقيقة أو لقياس الفضـيلة عـند السوفسـطائيين بل أصبحت كلها أموراً تعود إلى ما يراه الإنسان الفرد وما يعود عليه منها بالنفع والضرر)[1].

وكـادت الأفكار السوفسطائية أن تقضى على الفلسفة لولا أن قيض الله لهـا "سـقراط" الذى دافع عنها دفاعاً كلفه حياته ثمناً لتصليح ما أفسده السوفسطائيون فى عقول وشباب أثينا .

كـان عمـاد فلسـفته أن الإنسـان مكون من جسد وروح والنفس أو الروح عنده هى قائدة الجسم وملهمته وجوهر النفس عنده هو العقل الذى هـو هـبة إلهـية للإنسـان ، وعلى الإنسان أن يحترم هبة الآلهة ويحسن اسـتخدامها، لذلك رفع شعار "أعرف نفسك بنفسك" فالإنسان ينبغى أن يبدأ بـإدراك ماهـية نفسه ويستخدم عقله وضميره الذى هو هبة الآلهة لتمييز الخير من الشر وأن يكون الخير عائد على الفرد والمجتمع والشر أيضاً يعود على الفرد والمجتمع .

لذلك "سقراط" قال بيقينية المعرفة من خلال فلسفته لأن الفضيلة علم وتعلـم وسـلوك تطبـيقى ولـيس مواقف نظرية فقط . فالحقائق يقينية . فالصدق صدق على الإطلاق والكذب كذلك والخير والشر والفضيلة بأنواعها المخـتلفة حقائق يقينية مطلقة ليست خاضعة للتغيير فى أى زمان أو مكان، فنادى بالحقائق الكلية اليقينية .

ثـم جـاء أفلاطـون تلمـيذ "سـقراط" الـذى كـان معجـباً بآراء أسـتاذه "سقراط" فى إصلاح المجتمع والدعوة إلى التمسك بالمثل والأخلاق اليقينـية الثابتة المطلقة . فاستخدم اسلوب الحوار فى فلسفته ليعلم الناس الوصـول إلـى الحقـيقة اليقينـية عن طريق المحاورات (ومن خلال هذه المحـاورات قـدم أفلاطـون أول مذهب فلسفى متكامل فى تاريخ الفلسفة ،

---

(١) مدخل جديد إلى الفلسفة ص ٤٣ .

ونعنى بالمذهب الفلسفى أن يكون لدى الفيلسوف فكرية محورية جديدة يدور حولها كل فكر ويستخدمها فى تحليل كافة القضايا التى يتعرض لها ويقدم من خلالها الحلول التى يقدمها لكل هذه القضايا)[1].

الحقيقة أن أفلاطون هو أول من بحث فى المعرفة لذاتها ووجد نفسه بين أمرين المعرفة التى تأتى عن طريق الحس والمعرفة التى تأتى عن طريق العقل وسأل نفسه أيهما يصل بالإنسان إلى درجة اليقين؟ (فاستقصى أنواع المعرفة، فكانت أربعة : الأول : الاحساس، وهو إدراك عوارض الأجسام، أو أشباحها فى اليقظة وصورها فى المنام .

الثانى : الظن، وهو الحكم على المحسوسات بما هى كذلك.

والثالث : الاستدلال ، هو علم الماهيات الرياضية المتحققة فى المحسوسات . والرابع : التعقل، وهو إدراك الماهيات المجردة من كل مادة. وهذه الأنواع مترتبة بعضها فوق بعض ، تتأدى النفس من الواحد إلى الذى يليه بحركة ضرورية إلى أن تطمئن عند الأخير)[2] والاطمئنان هنا هو الوصول إلى درجة اليقين .

ويرى أفلاطون أن المعرفة اليقينية كاملة وغيرها ناقصة فالناقص عنده هو المحسوسات والكامل عنده هى المعرفة التى تبحث عن ماهيات الأشياء الثابتة التى لا تتغير وتبلغ درجة اليقين. فالمحسوسات مجرد محاكاه للحقيقة اليقينية أو الماهية الثابتة

ويقول أفلاطون فى ذلك الشأن (فإذا فكرت النفس فى هذه الماهيات الثابتة ، أدركت أولاً أن لا بد لإطرادها فى التجربة من مبدأ ثابت، لأن المحسوسات حادثة تكون وتفسد، وكل ما هو حادث فله علة ثابتة، ولا تتداعى العلل إلى غير نهاية . وأدركت ثانياً : أن الفرق بعيد بين

---

(١) المصدرالسابق ٥٢ .

(٢) تاريخ الفلسفة اليونانية . يوسف كرم ص ٦٩ ـ ٧٠ .

المحسوسات وماهياتها، فإن هذه كاملة في العقل من كل وجه ، والمحسوسات ناقصة تتفاوت في تحقيق الماهية، ولا تبلغ أبداً إلى كمالها، وأدركت ثالثاً : أن هذه الماهيات بهذه المثابة معقولات صرفة كالتي ذكرناها الآن : فيلزم مما تقدم أن الكامل الثابت أول، وأن الناقص محاكاته وتضاؤله ....

فلا يبقى إلا أن الماهيات جميعاً حاصلة في العقل عن موجودات مجردة ضرورية مثلها، لما هو واضح من أن المعرفة شبه المعروف حتماً فتؤمن النفس بعالم معقول هو مثال العالم المحسوس وأصله ، يدرك بالعقل الصرف والماهيات متحققة فيه بالذات على نحوٍ تحققها في العقل ، مفارقة للمادة ، بريئة عن الكون والفساد)[1].

ثم جاء أرسطو طاليس وهو يرى بإمكان المعرفة اليقينية ولكن التي تأتي عن طريق العقل يستطيع الإنسان أن يصل إلى طريق اليقين إذا كان التفكير مرتباً ترتيبا منطقياً سليماً (وكان لأرسطو أيضاً دور عظيم في الكشف عن أغاليط السوفسطائيين وإثبات إمكان المعرفة، وقدرة العقل على إدراك الماهيات، وهي الصور الكلية بينما يقف الحس عند الصور الجزئية التي تتمثل في إدراك الحس للعوارض التي تتقوم بها الماهية)[2].

فإدراك الماهيات فهي درجة اليقين عند أرسطو لأنه يرى أن الإدراك الذي يأتي عن طريق الحس فهو إدراك الجزئيات أما الإدراك اليقيني الذي يأتي عن طريق العقل فهو إدراك الحقائق الكلية الثابتة.

وقال يوسف كرم في ذلك عن "أرسطو" (والعقل يدرك الماهيات مباشرة، ويدرك الجزئيات المتحققة فيها الماهيات بانعكاسه على الحس الذي هو مدرك الجزئيات بأعراضها. فالعقل يدرك الكليات والجزئيات جميعاً، ولكن

---

(١) المصدر السابق ص ٧٢ ــ ٧٣ .

(٢) أسس الفلسفة د/ توفيق الطويل ص ٢١٦ ، ٢١٧ ط الثانية القاهرة ١٩٥٥ م .

باختلاف : فهو يدرك ماهية الماء ويدرك أن هذا المعلوم بالحس ماء. فاعتباره مدركاً للماهيات فى أنفسها. يسمى عقلاً نظرياً، فإذا ما حكم على الجزئيات بأنها خير أو شر، فحرك النزاع إليها أو النفور منها، سمى عقلاً عملياً. والفرق بين الحس والعقل من هذه الجهة ان الحس يدرك اللاذ أو المؤلم فى حقيقته المتشخصة، والعقل العملى يدرك الخير والشر من حيث هما كذلك وهما معقولان كالحق والباطل)[1].

فتعقل الشىء هو اليقين الذى لا يقبل التغير عند "أرسطو".

فكل معرفة يقينية مصدرها مبادئ أولية واضحة يترتب عليها نتائج بالضرورة وأيضاً تأتى المعرفة اليقينية من خلال التجربة العملية على يد صاحب عقل عنده القدرة على اكتساب العلم بالكليات المجردة والإنتهاء إلى مبادئ عقلية ضرورية وكلية ثابتة ويقينية .

وتوالت جهود الفلاسفة فى هذا المجال. وهكذا نرى مذهب التيقن يبحث عن الحقيقة الكلية لكل الناس بعيدة عن الشك سواء جاءت عن طريق النظر العقلى أو التجربة العملية التى تأتى بنتائج يقينية ملموسة ..

اليقين فى الفلسفة الإسلامية :

المعرفة اليقينية فى الفلسفة الإسلامية هى طريق الحق وتتبلور إلى حد كبير جداً حول المقدمات البرهانية.

والبرهان بدوره يرتكز على أسس وجذور عقلية .

والمعرفة اليقينية مصدرها مبادئ أولية واضحة تترتب عليها نتائج بالضرورة . وإذا كانت التجربة ممكنة ، فإنها لا تكون ممكنة إلا لصاحب عقل يقوم على مبادئ كلية وضرورية .

---

(١) تاريخ الفلسفة اليونانية ص ١٦٤ .

(فالمعـرفة العقلية إذن تكون عن طريق العقل الذى له القدرة على اكتسـاب العلـم، وهذا العلم لا يكون إلا بإدراك الكليات المجردة . فتكون وظـيفة تجـريد المعقـولات مـن المحسوسـات ، واكتشـاف العلاقـات بينها)[1].

ولكى نصل إلى المعرفة اليقينية عند فلاسفة المسلمين من الضرورى تحديـد المصـادر اليقينـية وهى لا توجد مباشرة وإنما استنبطت من الآثار الفكرية التى تركوها لنا .

ومن السهل على المفكر أن يقول أن المقدمات اليقينية هى كذا وكذا وأحياناً يلتزم بها وأحياناً لا يلتزم بها.

(الغـزالى مـثلاً إذا كان فى أكثر من كتاب من كتبه ككتابه "معيار العلـم" وكـتابه " مقاصـد الفلاسفة" قد ميز بين معرفة يقينية ومعرفة غير يقينـية ، وأدخل الأشياء التجريبية فى إطار المعرفة اليقينية، إلا أنه عندما بحث فى مجال السببية ، لم يلتزم بما نادى به وبما قال به .

إنه حين أحس بأن آراءه فى السببية تتعارض مع منطق التجربة قام بمحاولة هروبية إن صح هذا القول ، بأن أحالنا إلى كتابه "تهافت الفلاسفة". وإذا رجعـنا إلـى تهافته وجدناه غير ملتزم من قريب أو بعيد بتمييزه بين مصادر المعرفة اليقينية ومصادر المعرفة غير اليقينية. ومن الغريب أنه لا يلتزم باليقين ويزعم نفسه أنه يرد على أهل اليقين على الفلاسفة)[2].

فى الحقيقة أرى أن هذا الكلام فيه تجنى على الغزالى لأن المفكر لو أغفل فى كلامه مصادر المعرفة اليقينية فى بعض المسائل ليس ذلك أنه ليس بمؤمن بذلك ربما له أسبابه وربما أغفل ذلك غير متعمد فالعقل الإنسانى قادر بلا مساعدة خارجية على تحصيل الحقيقة اليقينية سواء كان ذلك عن طريق

---

(١) الطبيعة وما بعد الطبيعة ليوسف كرم ص ٩٥ ــ ٩٦ دار المعارف .

(٢) ثورة العقل فى الفلسفة العربية د/ عاطف العراقى ص ٤١ ــ ٤٢ .

العقـــل أو عـــن طـــريق التجربة فكما قلنا سابقاً أن الأفكار الأولية واضحة وضـــوحاً ذاتياً كالشمس محرقة، وكالسماء فوقنا، وكالأرض تحتنا وهكذا ، أمـــا بالنسبة للسببية لم ينكر السببية فى أسباب الدنيا والمعاش وإنما هناك أمور تسقط فيها السببية كالمعجزات للأنبياء والكرمات للأولياء .

مصادر المعرفة اليقينية فى الفلسفة الإسلامية :

فقـــد قسم الفلاسفة المقدمات اليقينية إلى الأوليات العقلية المحضة، والمحسوســـات ، والمجـــربات، والحدسيات، والقضايا التى عرفت بنفسها لا بوسط ، والمتواترات .

١ – الأوليات العقلية المحضة :

هـــى معنى بسيط يستطيع الإنسان أن يحصل عليه عن طريق العقل بدون نظر يوجب التصديق به لذاته لا لسبب من الأسباب الخارجية عنه.

(ولـــيس تصـــديق هذه الأوليات من قبل الحس لأن الحس لا يدرك الكلى، بل إدراكه مقصور على جزئى واحد أو اثنين فصاعدا، بشرط أن يكون محصوراً .

ولكـــنه يـــرجع لغريزة النفس وفطرة العقل، حتى متى تصور العاقل فـــيها حـــدى القضـــية بمفهومها ، حكم بفطرته فيها بإيجاب أحدهما للآخر أو ســـلبه عـــنه مـــن غـــير حاجة إلى دليل ولا توقف على حجة ولا انتظار لموافقة موافق ولا اعتبار مخالفة مخالف)[1].

فاليقين والتصديق يحدث بالغريزة والفطرة لا لأسباب خارجية مؤثرة فى الإنسان .

٢ – المحسوسات :

اليقيـــن فـــيها يكون عن طريق الحواس فإذن يصدق بها العقل بعد الحس والمشاهدة ــ مثل النار حارقة ، الماء مثلج وهكذا (فالإحساس إدراك

---

(١) المعتـــبر فى الحكمة لأبى البركات البغدادى جـــ ١ ص ٢٠٥ . الطبعة الأولى حيدر آباد الدكن .

الشيء الموجود في المادة الحاضرة عند المدرك، على هيآت مخصوصة به، محسوسة، من الآين، والمتى، والوضع، والكيف، والكم وغير ذلك .

وبعـض ذلك لا ينفك ذلك الشيء عن أمثالها في الوجود الخارجي لا يشاركه فيها غيره)[1].

ويقول الإيجي (وهذا الحس لا يفيد إلا علماً جزئياً كقولنا : هذه النار حـارة . أما الحكم بأن كل نار حارة، فمستفاد من الإحساس بجزئيات كثيرة مـع الوقوف على العلة . ولا شك أن تلك الإحساسات إنما تؤدى إلى اليقين إذا كانت صائبة . ولولا أن العقل يميز بين الحق والباطل من الإحساسات لم يتميز الصواب عن الخطأ)[2].

٣-المجربات :

(وأما المجربات فهي قضايا وأحكام تتبع مشاهدات منا تتكرر فتفيد ادكاراً بتكررها فيتأكد منها عقد قوى لا يشك فيه)[3].

فالمجـربات يقع اليقين فيها عن طريق تكرار المشاهدة حتى يصبح الأمر يقيناً .

(فالمجـربات إذن هي ما يحكم بها العقل بواسطة الحس مع التكرار ولا بد مع ذلك من قياس خفي، هو أن الوقوع المتكرر على نهج واحد يكون إمـا دائماً أو أكثرياً ولم يكن إتفاقاً ، بل لا بد أن يكون هنالك سبب، وإن لم يعرف ماهية ذلك السبب . وإذا علم بحصول ذلك السبب حكم بوجود المسبب قطعاً)[4].

---

(١) لاشارات والتنبيهات لابن سينا شرح نصير الدين الطوسي جـ ٢ ص ٣٦٧ .

(٢) المواقف للإيجي جـ ٢ ص ٣٧ .

(٣) الاشارات والتنبيهات لابن سينا جـ ١ ص ٣٤٦ .

(٤) المواقف للإيجي جـ ٢ ص ٣٩ ، والإشارات لابن سينا جـ ١ ص ٣٤٦ .

٤ – المتواترات :

فاليقين المتواتر هو الذى تسكن إليه النفس سكوناً تاماً يزول عنه الشك لكثرة الشهادات الصادقة على سبيل الإتفاق .

(المتواترات هى الأمور المصدق بها من قبل تواتر الأخبار التى لا يصح فى مثلها المواطأة على الكذب لغرض من الأغراض، كضرورة تصديقنا بوجود الأمصار والبلدان الموجودة وإن لم نشاهدها مثل علمنا بوجود أفلاطون برغم أننا لم نره ، ووجود مكة والمدينة وإن لم بصرهما ... ولا يتوقف هذا على العدد، إذ من حاول أن يحصر هذه الشهادات فى مبلغ عدد معلوم فقد أحال، فإن ذلك ليس متعلقاً بعدد تؤثر فيه الزيادة والنقصان . وإنما الرجوع فيه إلى مبلغ يقع معه اليقين . فاليقين إذن هو القاضى بتوافى الشهادات لا عدد الشهادات)[1].

٥ – القضايا التى عرفت لا بنفسها بل بوسط:

هى القضايا التى يحكم فيها العقل بواسطة لا تغيب عن الذهن مثل تصور الغرض كقولنا : الأربعة زوج فهذا الوسط متصور فى الذهن عند تصور الأربعة زوجاً .

يقول الغزالى فى مقاصد الفلاسفة عن هذه القضايا اليقينية (وبالجملة فلا يستبعد أن يكون الشىء معلوماً بوسط، ولكن الذهن لا يتنبه لكونه معلوماً بوسط وقياس . فليس كل ما يثبت على وجه ، يتنبه الإنسان بوجهه، وثبوت الشىء للذهن شىء، والشعور بوجه ثبوته والتعبير عنه شىء آخر)[2].

٦ – الحدسيات :

الحدس هو سرعة الأنتقال من المبادئ إلى المطالب بحيث تطمئن له النفس ويزول عنها الشك .

---

(١) ثورة العقل فى الفلسفة العربية د / عاطف العراقى ص ٥٢ .

(٢) مقاصد الفلاسفة ص ٤٩ .

ويقــول ابن سينا : (الحدسيات هى قضايا مبدأ الحكم بها حدس من النفس قوى جداً ، فزال معه الشك، وأذ عن له الذهن ..... مثل نور القمر من الشمس)[1].

هــذه هى مصادر المعرفة اليقينية عند الفلاسفة المسلمين والملتزم بأى نوع منها يملك البرهنة والدليل على أقواله .

والبرهان عن الفلاسفة هو اسمى صور اليقين . يقول ابن رشدَ فى فصــل المقــال: (الناس على ثلاثة أصناف : صنف ليس هو من أهل التأويل أصلاً، وهم الخطابيون الذين هم الجمهور الغالب . وذلك أنه ليس يوجد أحد سليم العقل يعرى عن هذا النوع من التصديق . وصنف هو من أهل التأويل الجدلــى ، وهؤلاء هم الجدليون ، وبالطبع فقط أو بالطبع والعادة . وصنف هــو من أهل التأويل اليقينى وهؤلاء هم البرهانيون بالطبع والصناعة، أعنى صناعة الحكمة)[2].

فالحجــة والــبرهان هى التى تفيد العلم اليقينى للقضية أو المسألة وتثبــتها وتــبعدها عن أى شبهة (فالأقاويل البرهانية إذن هى الأقاويل التى شأنها أن تفيد العلم اليقينى فى المطلوب الذى تلتمس معرفته سواء استعملها الإنسان فيما بينه وبين نفسه فى استنباط ذلك المطلوب، أو خاطب بها غيره، أو خاطبه بها غيره فى تصحيح ذلك المطلوب. فإنها فى أحوالها كلها شأنها إفادة العلم اليقينى ، وهو العلم الذى لا يمكن أصلاً أن يرجع عنه ولا تقع فيه شبهة تغلط ولا مغالطة تزيله عنه ولا ارتياب ولا تهمه بوجه ولا بسبب)[3].

---

(١) الإشارات والتنبيهات جـ ١ ص ٣٤٨ .

(٢) فصل المقال ص ٢١ .

(٣) لمدخــل لصناعة المنطق لابن طملوس ابو الحجاج يوسف محمد ص ٢٣ تحقيق ميخائيل آسين جـ ١ مدريد ١٩١٦ م .

والبرهان عند الفلاسفة ينقسم إلى برهان علة وبرهان دلالة برهان العلـــة يسمى (برهان لمى) والاستدلال فيه من العلة إلى المعلول ، وبرهان دلالة ويسمى البرهان الإنى) الاستدلال فيه يكون من المعلول إلى العلة .

مثال : الدليل الإنى مثل : هذا محموم كل محموم متعفن الأخلاط. هذا متعفن الأخلاط .

الاستدلال هنا من المعلول إلى العلة .

مـــثال : الدليل اللمى مثل : هذا متعفن . كل متعفن الاخلاط محموم هذا محموم .

الاستدلال هنا من العلة إلى المعلول .

والـــبرهان من الضرورى أن تكون مقدماته كلية حتى تكون نتائجة يقينية وصادقة وكلية لا تتغير بتغير أجزائها.

يقـــول ابن سينا (لما كان يجب أن تكون مقدمات البرهان كلية حتى تكون يقينية، لا تتغير بتغير الأمور الشخصية، ووجب أن تكون نتائجها كذلك كلية ودائمة ، وجب ألا يكون برهان على الأشياء الجزئية الفاسدة، بل على أحوالهـــا قياس ما، يدل على أن الأمر هكذا فقط . فإنه لا يمكن أن يدل على أنه يجب ألا تتغير، ولا أيضاً بها علم إلا العلم الذى بطريق العرض.

وأما اليقين فإنما يكون بالحكم الكلى الذى يعم الشخص وغيره. وإذا عـــرض واتفق أن دخل هذا الشخص تحت ذلك الحكم دخولاً لا يقتضيه نفس ذلـــك الحكم ، ولا الشخص يقتضى دوامه تحته، فليس أحدهما يقتضى دوام النسبة مع الآخر . فإذن النسبة بينهما عارضة وقتاً ما)[1].

فمعـــنى ذلـــك أن الـــبرهان علـــى المقدمات الكلية أفضل فى اليقين والتصـــديق من البرهان على المقدمات الجزئية لأن الجزئيات غير دائمة أما الكليات دائمة حتى ولو أختلفت الجزئيات .

---

(١) الشفاء لابن سينا ص ١٧٠ ــ ١٧١ .

والكـــندى بحسه الواعى وإيمانه العميق بأن الحقيقة واحدة لا تقبل التغيـــير والتبديل لم يتردد فى قبول الحقيقة أينما كان مصدرها. فرأى أن الفلسفة هى مصدر اليقين لأنها تبحث عن حقيقة الأشياء لذلك قال : (الفلسفة هـــى علم الأشياء بحقائقها بقدر طاقة الإنسان) وأيضاً (أنها علم الحق الأول الـــذى هو علة كل حق) فالحق الأول هو الله عز وجل وهو مصدر اليقين فى النفوس .

ويرى الفارابى أن تصور المبادئ الأولية هى التى ترتسم فى النفس الإنسانية وهى أقصى درجات اليقين (ويقصد الفارابى بالتصورات أبسط ما يرتســم فـــى النفس، أعنى كلاً من صور الجزئيات التى يؤديها الحس ومن المعـــانى الأولـــية المـــركوزة فـــى الذهن بفطرته، كمعنى الوجوب والوجود والإمكـــان ، وهـــذه الصور والمعانى يقينية أولية ، يمكن أن ننبه لها عقل الإنسان، وأن تفطن لها نفسه ، ولكن لا يمكن أن يبرهن له عليها، ولا يمكن بـــيانها باســـتنباطها ممـــا هو معلوم، لأنها بينة بنفسها، ويقينية إلى أقصى درجات اليقين)[1].

فهـــذه القضـــايا الأولـــية بيـــنه بنفسها لا تحتاج إلى برهان. وعند الفارابى (الممكن متغير لا يمكن معرفته معرفة يقينية)[2].

والمعرفة الإنسانية عند الفارابى (لا يحصل عليها العقل باجتهاده ، بـــل هـــى تـــتجلى فى صورة هبة من العالم الأعلى وفى ضوء العقل الفعال يستطيع عقلنا إدراك الصور الكلية للأجسام)[3].

وابن رشد أراد أن يستخدم اليقين الفلسفى أو البرهانى للوصول إلى اليقيـــن ويـــرى أن القرآن الكريم فيه هذا الجانب الفلسفى والبرهانى. ولعل

---

(١) تاريخ الفلسفة فى الإسلام ص ٢٠٤للاستاذ ت . ج . دى بور نقله إلى العربية د/ محمد عبد الهادى أبو ريده . مكتبة النهضة المصرية .

(٢) المصدر السابق ص ٢١٣ .

(٣) المدينة الفاضلة للفارابى ص ١٤٤ .

ممن لفت النظر إلى هذه الميزة القرآنية من فلاسفة المسلمين هو ابن رشد حيث قال :

(لمـا كـان مقصود الشرع إنما هو تعلم الحق والعمل الحق، وكان التعلـيم صنفين : تصوراً وتصديقاً وكانت طريق التصديق الموجودة للناس ثلاثاً :

البرهانـية والجدلية والخطابية . وطرق التصور اثنتان: إما الشيء نفسـه وإما مثاله وكان الناس كلهم ليس فى طباعهم أن يقبلوا البراهين ولا الأقـاويل الجدلـية فضلاً عن البرهانية ... وكان الشرع إنما هو مقصود تعليم الجميع، وجب أن يكون الشرع يشتمل على جميع انحاء طرق التصديق وأنحاء طرق التصور)[1].

وقد عقب د/ أبو زهرة على كلام ابن رشد السابق ذكره قائلاً :

(حيـث إن هـناك طريقاً لإثبات صدق القضايا عامة، لأكثر الناس ، بحيـث يكون التصديق بها يعم كل من له عقل سليم من الآفات وهى الطريق الخطابـية الـتى تقـوم على إثبات الحق بأدلة قطعية أو ظنية، وكانت هذه الطريق الخطابية أعم أنواع الإستدلال فى البيان وأكثرها إنتاجاً. ويأتى دونها طـريق الجـدل فـى الإستدلال وذلك بأن يكون الاستدلال قائماً على مقدمات يسـتدل بها الخصم أو يسوقها، وهى تعتمد على قوة الإستدلال على الخصم مـن أجـل إفحامـه . وهـذا الطريق يختلف عن الطريق الخطابى ذلك لأن المقصـود مـنه الإفحام للخصم، وليس طريقاً لتبنى الحقائق وإثباتها بعكس الطـريق الخطـابى الذى يتبنى الحقائق ويكون طريقاً لإثباتها ، وإن كان فى إثـبات الحقـائق رد على الخصم المعاند بطبيعة الحال وهناك طريق موافق للطـريق الخطـابى هـو للخاصة من الناس وهو طريق البرهان الذى تكون

---

(١) فصل المقال لابن رشد ص ٢٨ المكتبة المحمودية . القاهرة ١٣٨٨ هـ .

أقيسته مجردة خالية من كل تحسين، وليست متجهة إلى الإقناع وطرائقه ، من مشاركة وجدانية أو إثارة للمشاعر بل هى أدلة مجردة)[1].

محاولة محمودة من ابن رشد فى استجلاء طريق الاستدلال فى القرآن الكريم . وبيان مقامها فى قوة الاستدلال على إثبات القضايا والحقائق اليقينية التى يحملها .

لأن القرآن الكريم نزل من عند رب العالمين الذى يعلم طبقات الناس وتفاوت عقولهم فى الفهم والإدراك فتنوع الإستدلال بتنوع الأفهام. ومهما حاول الفلاسفة الوصول إلى الحقائق اليقينية بعقولهم فقط دون الإستناد إلى الشرع وكلام الله فكل ما يأتون به ناقص لا يثبت ولا يرتقى إلى درجة اليقين الذى لا يقبل التغير . ممكن يكون يقيناً فى الحال ولكن لا يثبت فى المستقبل فلا يبقى يقيناً . والقرآن الكريم (هو فى ذلك كله لا يخضع للمصطلحات الفلسفية من برهانية وخطابية وجدلية . وإنما يجعل من كل أدلته أدلة منتجة لليقين بما فيها مقدمات اليقين من أوليات ومشاهدات وتجريبيات وحدسيات ومتواترات)[2].

اليقين فى الفلسفة الحديثة:

اليقين فى كل اطوار الفكر الفلسفى الإنسانى هو الاعتقاد الجازم بالشىء الذى لا يقبل الشك أو هو العلم بحقيقته بعد النظر والإستدلال.

ويتنوع هذا اليقين بتنوع موضوعاته .

(اليقين الواقعى أو الطبيعى : وهو الاعتقاد الجازم المتعلق بموضوعات التجربة كقولنا : إن السماء تمطر .

---

(١) المعجزة الكبرى (القرآن) محمد أبو زهرة ص ٣٣١ .

(٢) نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة ص ٢٢١ .

واليقيـــن العلمـــى : وهو الاعتقاد الجازم المتعلق بإدراك الحقائق البديهية والحقائق النظرية

فـــإذا كانـــت الحقائق بديهية كالأوليات مثلاً، كان اليقين بها حدسياً مباشراً .

وإذا كانت الحقائق نظرية ، كالحقائق التى يكشف عنها البرهان، كان اليقين بها يقينا استدلالياً غير مباشر .

واليقيـــن الأخلاقى وهو اقتناع المرء بأنه يستطيع أن يتخذ إزاء ما يعـــتقد أحقيته قراراً عملياً موافقاً، وإن كان هذا الاقتناع لا يتنافى مع إمكان الخطأ)[1].

اختلفت الطرق المؤدية إلى اليقين من فيلسوف إلى آخر كما تتبعنا فى بحثنا هذا وفى العصر الحديث كان طريق اليقين هو الطريق العملى القائم على التجربة والاستدلال والاستنباط من خلال الأدلة العملية .

(أمـــا بيكون وديكارت فقد كان جهدهما الفلسفى العلمى هو العامل الحاسم فى نقل العقلية الغربية من عصر إلى عصر، من عصر سيطرت فيه علـــى الإنســـان الغـــربى نظريات وآراء السابقين وخرافات وأساطير رجال الكنيســـة، إلـــى عصـــر يقود فيه العقل الإنسان إلى اكتشاف كل جديد وإلى الســـيطرة علـــى الطبيعة بفضل المعارف الجديدة التى تتأتى للإنسان إذا ما استخدم المنهج الإستقرائى التجريبى فى دراسته العلمية للظواهر الطبيعية. وقـــد تركـــز جهد فرنسيس بيكون على تدعيم هذا الجانب، وإذا ما استخدم المـــنهج العقلى الذى يقوم على البدء بالشك ثم استخدام الحدس والإستنباط العقليين فى تأملاته الفلسفية للكون وللتجربة الإنسانية ككل، وقد تركز جهد ديكارت على تأسيس وتدعيم هذا الجانب)[2].

---

(١) المعجم الفلسفى د / جميل صليباج ٢ ص ٥٨٨ .

(٢) مدخل جديد إلى الفلسفة ص ١٢٨ .

اليقين عند بيكون :

فالمعـــرفة اليقينية عند (بيكون) تقتضى الكشف عن قوانين الطبيعة بواســطة العلم ولبلوغ هذا الهدف يحتاج الإنسان إلى منهج جديد سليم قائم على تطهير العقل من الأوهام والمعارف السابقة وأيضاً رد العلوم إلى الخبرة والتجربة واستخدام منهج الاستقراء لإصلاح إخطاء العلم السابقة (وذلك عن طـــريق عرضـــه للأوهـــام التى تقف حجر عثرة فى سبيل البحث العلمى . وعـــرض "بيكون " للأوهام هو تحقيق للشرط الأول وهو تطهير العقل منها، وهـــو لا يشـــكل إلا الجانـــب الســـلبى من المهمة التى وضعها "بيكون" أمام عينيه . ويمثل هذا الجانب شكلاً من أشكال نقد المعرفة الإنسانية والشك فى صـــدقها بهدف الوصول إلى اليقين . وفى هذا الصدد يعبر "بيكون" عن ذلك بقولـــه : (لـــو بـــدأ الإنسان الإيمان ببعض الحقائق فسينتهى به الأمر إلى الشك ، ولكنه إذا بدأ السير بالشك فلا بد أن ينتهى إلى الحق واليقين)[1].

والاســـتقراء يمثل الجانب الإيجابى واليقينى فى المعرفة عند بيكون وهو يقوم على الملاحظة والتجربة فى العلوم الطبيعية من أجل الوصول إلى الحقيقة اليقينية التى تخدم الناس جميعاً وفى فائدتها للمجتمع يكمن يقينها. وقد نجح "بيكون " إلى حد ما فى وضع قواعد منهجه الاستقرائى الذى بفضله اكتشـــفت صـــور الطبائع البسيطة وتأثيرها على غيرها من الحقائق العلوية والسفلية فى الكون .

اليقين عند ديكارت :

والمعـــرفة اليقينية عند "ديكارت" لا تقوم إلا على الشك فى كل شىء ما عدا ذاته المفكرة لأنها هى التى تقوم بالتفكير فوجودها يقينى .

(وديكـــارت هنا يقلب المعادلة فى تاريخ الفلسفة القائلة بأن الشىء يعرف بعد وجوده وإنه يستدل على المعرفة بالوجود أى إنها تابعة له.

---

(١) الفلسفة الحديثة عرض ونقد د/ أحمد السيد على ص ٨٧ مكتبة الإيمان ، المنصورة .

بينما يرى "ديكارت" أن الوجود ينبثق من المعرفة، وأن حجر الزاوية لليقين الفلسفى عنده أن ينطق من الذات العارفة إلى الذات الموجودة أو من الذاتية إلى الموضوعية أو من الفكر إلى الوجود ٠

فــبدأ بذاته واستدل على وجودها من حقيقة " أنا أفكر فأنا موجود" لأنها هى الحقيقة الواضحة المتميزة ويعرف "التصور الواضح" بأنه ماثل أمام العقل المنتبه مثول المرئيات أمام العين التى تبصرها ٠ والتصور المتميز هو الذى لا يختلط به غيره وليس فى مضمونه إلا ما هو واضح)[١].

الحقــيقة عــند "ديكارت" هى اليقين ٠ والبداهة أو النور الفطرى أو الغريــزة العقلية هى التى تكشف لنا الحقيقة فتلك هى الأفكار الذاتية للمعرفة اليقينية عند ديكارت لذلك رتب الأفكار الإنسانية فى ثلاث طوائف :

(الأولى : أفكار غريزية أو فطرية وهى الأفكار الطبيعية فى الإنسان، التى تبدو فى غاية الوضوح والجلاء كفكرة الله والحركة والإمتداد والنفس ٠

الثانية : أفكار غامضة تحدث فى الفكر بمناسبة حركات واردة على الحواس من الخارج وليست لها أصالة فى الفكر الإنسانى ٠

الثالثة : أفكار مختلطة وهى الأفكار التى يصطنعها الإنسان ويركبها من أفكاره الأخرى كصورة إنسان له رأسان)[٢].

إن مــنهج "ديكــارت" فــى إثبات إمكان المعرفة اليقينية يمر بثلاث مــراحل ٠ مرحلة الشك فى الحواس، ومرحلة تصور الفكر وتميزه، ومرحلة الضمان الإلهى ٠ فديكارت أخذ من الطائفة الأولى فكرة الله وقرر أنها حقيقة موضــوعية تفوق الإنسان وكل ما فيه من أفكار تأتى فى الأصل عن طريق

---

(١) مــبادئ الفلســفة لديكــارت تــرجمة د / عــثمان أمين مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٦٠ م ٠

(٢) التاملات ٠ لديكارت ص ١٣٦ ــ ١٤٢ التأمل الثالث ٠

هذا الكائن الكامل المطلق اليقينى لذلك نجده يقول (إن يقين كل علم وحقيقته إنمـــا يعتمدان على معرفتنا للإله الحق، بحيث يصح لى أن أقول إنى قبل أن أعـــرف الله ما كان بوسعى أن أعرف شيئاً آخر معرفة كاملة) كما أن (يقين البراهين الهندسية نفسه متوقف على معرفتنا بالله)[1].

أتهم يوسف كرم "ديكارت" من أن شكه كان شكاً مطلقاً وليس منهجياً لمحاولة الوصول إلى اليقين العقلى وليس تجربة من تجارب الوجود فقال :

(ولكـــن إرادة تـــبرير اليقين ترجع إلى نية الفيلسوف وليست النية بمغيره شيئاً من الموضوع ، واستثناء العقائد والأخلاق والتقاليد لا يعنى أن الفيلسوف موقف بها ذلك اليقين الذى ينشده ، فإن العقائد أسرار تفوق العقل والأخلاق والتقاليد من الضرورى التزامها قبل الشك وأثناءه لأن أفعال الحياة غالباً تحتمل الإرجاء كما يقول "ديكارت" نفسه (وإنه ليس من الفطنة التردد فى العمل بينما يضطرنا العقل إلى التردد فى الأحكام)[2].

الشـــك عند "ديكارت" كان محاولة للبعد عن المادة وعلائق الحواس ولـــم يكـــن شكاً مطلقاً لأنه رأى المادة والحواس تخدع أحياناً الإنسان فأراد شيئاً يقينياً لا يخدع ، فهو يقول فى رده على من أتهمه بذلك (بأن ما دعاه إلى هذا الشك إلا إعداد أذهان القراء للنظر فى الأمور الذهنية ولتمييزها من الأشياء البدنية)[3].

(وحقيقة الأمر أن شك "ديكارت" كان منهجياً ، وليس مطلقاً لسببين:

الأول : أن الفيلســـوف يقصد إلى تبرير اليقين بعد المضى فى الشك إلى أقصى حدوده.

---

(١) المصدر السابق ص ٢٠٨ ، ٥٨ .

(٢) تاريخ الفلسفة الحديثة . يوسف كرم ص ٦٨ .

(٣) ديكارت د/عثمان أمين ص ١٢٥ مكتبة الانجلو المصرية القاهرة ١٩٦٩ م .

الـــثانى : أنـــه يســـتثنى بـــالفعل العقائد الدينية والقواعد الأخلاقية والتقاليد الإجتماعية .

وشك ديكارت كان شكاً منهجياً علمياً لا شكاً مطلقاً أى شك العقل لا شـــك العقيدة ولم يعد هذا الشك أن يكون سوى محاولة منظمة للوصول إلى اليقيـــن العقلى، وليس تجربة من تجارب الوجود . ومثل ذلك الشك أدنى أن يكـــون نشاطاً روحياً مرتباً، وقوة دافعة للفكر من أن يكون ميلاً إلى الإنحدار فى هوة الشك المطلق والتحلل من ربقة الدين)[1].

فديكـــارت جعـــل اليقيـــن هو الحقيقة المتميزة التى تأتى عن طريق الحدس أو الرؤية العقلية المباشرة عن طريق الاستدلال العقلى المنطقى.

اليقين عند جون لوك:

و"جون لوك" يمثل المنهج التجريبى الذى يؤمن بأن المعرفة اليقينية لا تـــأتى إلا عن طريق التجربة الحسية . فالأفكار الفطرية إذن لا وجود لها عـــند المذهـــب التجريبى . والنفس البشرية عند الولادة كالصفحة البيضاء الناصـــعة فإن المعارف تنتقش على تلك الصفحة عن طريق الإدراك الحسى والتجربة والخبرة .

وأجاب "جون لوك" عن مصدر المعرفة قائلاً : (إنى أجيب على ذلك بكلمـــة واحدة . إنها تأتى من الخبرة وعليها تتأسس معارفنا جميعاً ومنها تنبـــثق فـــى النهاية وملاحظتنا التى تتجه إما إلى موضوعات مدركة إدراكاً حســـياً خارجياً أو إلى عمليات العقل التى ندركها ونتأمل فيها هى التى تأتى لعقلـــنا بمادة الفكر كلها . وهذان هما مصدرا المعرفة اللذان تنبع منهما كل الأفكار التى نمتلكها أو التى نستطيع بطبيعة الحال أن نمتلكها)[2].

---

(١) المصدر السابق ص ١٢١ ، ١٢٢ .

(٢) جون لوك د/ عزمى إسلام ص ٥٣ دار المعارف ١٩٦٤ م .

فهـنا الإدراك الحسى والتجربة والخبرة سابقة على المعرفة اليقينية العقلـية أى لا يكون الأمر عند "لوك" يقينياً وتصديقياً إلا إذا مر على الحس وأى معرفة خارج نطاق الإدراك الحسى والتجريبى فهى مستحيلة . فالمعرفة الحسية هى التى تؤدى بالإنسان إلى المعرفة اليقينية العقلية

اليقين عند ليبنتز :

وأمـا "ليبنتز" فقد (أنكر على "لوك" رأيه فى انعدام الآراء الفطرية، وأن كل المعلومات تأتى من الحواس ثم تؤثر فى الذهن . وذهب "ليبنتز" إلى أن المعـرفة تكون بادئ الأمر سابحة فى اللاشعور، وتظل غامضة مهوشة حتى تدركها التجربة فتوقظها من مكامنها . وتزيل ما يغشاها من غموض، بما تنشره على معالمها من ضوء .

فحـياة العقـل عـبارة عـن تقدم مطرد مستمر من إدراك مهوش مضـطرب إلـى إدراك دقـيق محدود، شأنه فى ذلك شأن كل ذرة فى الكون حياتها انتقال من الغموض إلى الوضوح فى الإدراك)[1].

فـبذلك لـم ينكر الآراء الفطرية الأولية فى المعرفة ولم يغفل جانب الخـبرة والـتجربة فـى المعرفة اليقينية فهو يرى أن العقل لكى يصل إلى المعـرفة اليقينـية الكاملـة لا بد له من التدرج فى المعارف حتى يصل إلى المعرفة الكاملة حتى المعرفة الكاملة يرى أنها ملك لله عز وجل وحده

(ثـم يذهـب "ليبنتز" إلى أن المعرفة الكاملة للشىء هى التى تتطلب الإحاطـة ولما كانت قدراتنا محدودة ، فإننا لا نستطيع القيام بعملية التحليل الـتى قـد تطول إلى مالا نهاية وتستغرق حياتنا بطولها . فما بالك إذا كان المـراد إدراك جميع الملامح متآنية وعلى الفور وفى لحظة واحدة متاحة!.

---

(١) قصة الفلسفة الحديثة د/ أحمد امين زكى نجيب محمود ص ١٢٧ .

إن الله وحـــده هـــو القـــادر على ذلك ومن ثم فإن المعرفة الكاملة فى معظم الأحوال من الأمور التى يقتصر أمرها على الله وحده .

وبمقدورنـــا الحصـــول على معرفة كاملة بما سماه "ليبنتز" المعانى الإبتدائـــية وبالمركبات الشديدة البساطة المؤلفة من معانى إبتدائية. أما فيما يـــتعلق بـــباقى الأشياء، فإن أقصى ما بوسعنا بلوغه هو المعرفة الأقل من الكاملة ، أى المعرفة الرمزية البعيدة تماماً عن أن تتصف بالكمال)[1].

فاليقين الكامل هو الذى يأتى من قبل الله عز وجل لأن الإنسان عقله قاصر عن إدراك جميع الحقائق الكلية كما ينبغى أن تكون .فيقينية بما وصل إلـــيه مـــن درجـــة المعرفة الرمزية الكاملة بالنسبة العقل الإنسانى ومعرفة ناقصة بالنسبة لليقين الإلهى.

وبذلـــك نكـــون قد وصلنا إلى نهاية بحثنا ولا ندعى أن البحث شمل جميع المعارف اليقينية الإنسانية وإنما ذكرنا نماذج من المعرفة اليقينية فى الفكر الإنسانى .

---

(١) الفلسفة الحديثة عرض ونقد د/ أحمد السيد ص ٢٠٤ .

خاتمة البحث

حقيقة الأمر أن القرآن هو العلاجَ الوحيد الذى يعطى الإنسان المعرفة الحقيقية اللازمة له ضمن منهج ربانى يعد هذا الإنسان ليكون خليفة الله فى الأرض . وهذا المنهج يجعل الانسان فى قمة الرضا والطمأنينة والتصالح مع النفس ومع الآخرين إذا التزم به لأن رب العزة هو الذى وضع ذلك المنهج فى كتابه العزيز ووصفه باليقين وعدم الريبة والشك حينما قال رب العزة : (الم ذَلِكَ الكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ)[1]. فهو خالق العبد وصانعه وهو يعلم ما يصلح شأنه فى الدنيا والآخرة .

لذلك اختلفت طرق المعرفة اليقينية فى القرآن الكريم حتى تتفق مع جميع العقول الإنسانية على حسب استعدادتها فى الفهم فكان الطريق الفطرى والقلبى والاستدلالى والبرهانى والخطابى والاستنباطى والمنطقى والبلاغى .

أما اليقين فى الفكر الفلسفى الانسانى بدأنا بالفكر اليونانى فكان اليقين عند السوفسطائيين نسبى فما يجلب للإنسان من نفع فهو يقينى حتى ولو لم يكن صادقاً، ثم جاء "سقراط" وحارب الفكر السوفسطائى وقال أن الحقائق الكلية هى اليقينية لأنها مطلقة ولا تتغير بتغير الزمان كالعدل والخير والصدق والحب والفضيلة والعلم وجاء "أفلاطون " وأيد كلام استاذه "سقراط" وأضاف أن هذه الحقائق الكلية المطلقة موجودة فى عالم المثل وعلى الإنسان أن يسعى جاهداً للتمثل أو الوصول لتلك الكمالات عن طريق عمل الخير والفضيلة والبعد عن الرذائل والنقائص.

ثم جاء "أرسطو" ورأى أن اليقين يكون فى الأقيسة المنطقية المحددة وهى التى تعصم الذهن بمراعاتها عن الخطأ فى الفكر . ويكون ذلك فى

---

(١) سورة البقرة، الآية ١ – ٢ .

جميع جوانب الحياة . وتطبيق المنطق الأرسطى فى جميع العلوم والمعارف .

ثم جاء الفكر الفلسفى الإسلامى وحاول أن يوفق بين الدين والفلسفة للوصول إلى الحقيقة الكلية واليقين المطلق وفى رأيى الشخصى فشل فجاء الفكر كالثوب ذات الرقع . أما من تمسك منهم بالقرآن الكريم وأخذ يبحث فى الجوانب الفلسفية والعقلية الجميلة فيه فقد نجح . كيف يكون عندنا كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ونقول "سقراط" قال كذا و"افلاطون" قال كذا وننهج نهجهم ونسير على خطاهم أن هذا إلا هو ضلال كبير نعوذ بالله منه .

(إن ما قامت به المدارس الفلسفية والعلمية قديماً وحديثاً، من دراسات خاصة بالإنسان باءت كلها بالفشل ولم تحقق نجاحاً فى معرفة طبيعته ووظيفته ، ومن ثم إسعاده فى هذه الحياة وكل ما قدمته لا يعدو أن يكون تخمينات ونظريات جزئية . مبتسرة فيما يتعلق بالخلق والمعرفة . إذ بعضها قدس العقل تقديساً عظيماً حتى جعله اساس الخلق وأساس العلم، ورفض باقى استعدادات الإنسان وكينونته الإنسانية الربانية الخلق والمعرفة، والبعض الآخر قدس فيه جوانب المادة والحس، ورفض التسليم بطبيعته الروحية بل جعل فكره إنعكاساً للواقع المادى الذى لا يعدو أن يكون الوجود الإنسانى منه متجانساً معه، وهناك النظريات العلمية الميكانيكية والطبيعية والكيميائية التى تريد أن تضع الإنسان فى معامل العلم . ولكن أنى لهذه النظريات البشرية كلها أن تقدم شيئاً صحيحاً عن هذا الإنسان ؟ بل إن هذا الإنسان لا يعرف معرفة سليمة إلا من مصدر خلقه من الله سبحانه)[1].

---

(١) نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة ص ٤٥٠ .

فالمعـرفة اليقينـية إذن لا تكون إلا من الله عز وجل ولا يهديها إلا للقوم المهتدين إليه المؤمنين به وهى وحدها التى تجلب السعادة للإنسان فى الدارين الأولى والآخرة .

واليقيـن فى الفلسفة الحديثة اختلفت حوله الآراء فالبعض يراه فى الأفكـار الفطـرية الأولـية والله عز وجل هو مصدر اليقين وهو مصدر كل المعـارف اليقينية كما يرى "ديكارت" أن الحواس خادعة لا تأتى بيقين وأن اليقين كان فى النور الفطرى الذى يرسله الله عز وجل إلى عقل الإنسان.

أمـا بـيكون فأنـه يـرى اليقين فى الاستقراء من خلال الملاحظة والتجربة العلمية حتى يصل إلى المعرفة اليقينية الكاملة، أما "جون لوك" فقد أنكر الأفكار الفطرية وقال أن المعارف الكاملة لا تأتى إلا من خلال الإدراكات الحسية والخبرة أولاً ثم تنتقل إلى الإدراكات العقلية.

أمـا "ليبنتز" فقد جمع بين الأمرين المعرفة الحسية والمعرفة العقلية من أجل الوصول إلى الحقيقة الكاملة واليقين المطلق . ولو أنه وجد الحقيقة الكاملـة الـتى توصل إليها عن طريق الحس والعقل ناقصة بالنسبة للمعرفة اليقينية الإلهية.

فقال : أن الله مصدر المعرفة اليقينية الكاملة.

ونخـتم قولـنا أن الله عـز وجل هو مصدر الأشياء جميعاً ومصدر العلوم اليقينية وأعطانا كتاباً لا يأتيه الباطل أبداً واعطانا عقلاً سليماً ذا فطرة إيمانية قوية يفسده صاحبه بالمعارف الباطلة والعلوم المزيفة. وأما من رجع إلى الله فقد وجد عنده اليقين فى الأعمال والأفعال والأقوال.

قـال تعالى : (هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلاَ تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى)[1].

وقال تعالى : (وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ)[2].

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

---

(١) سورة النجم ، الآية : ٣٢ .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٥ .

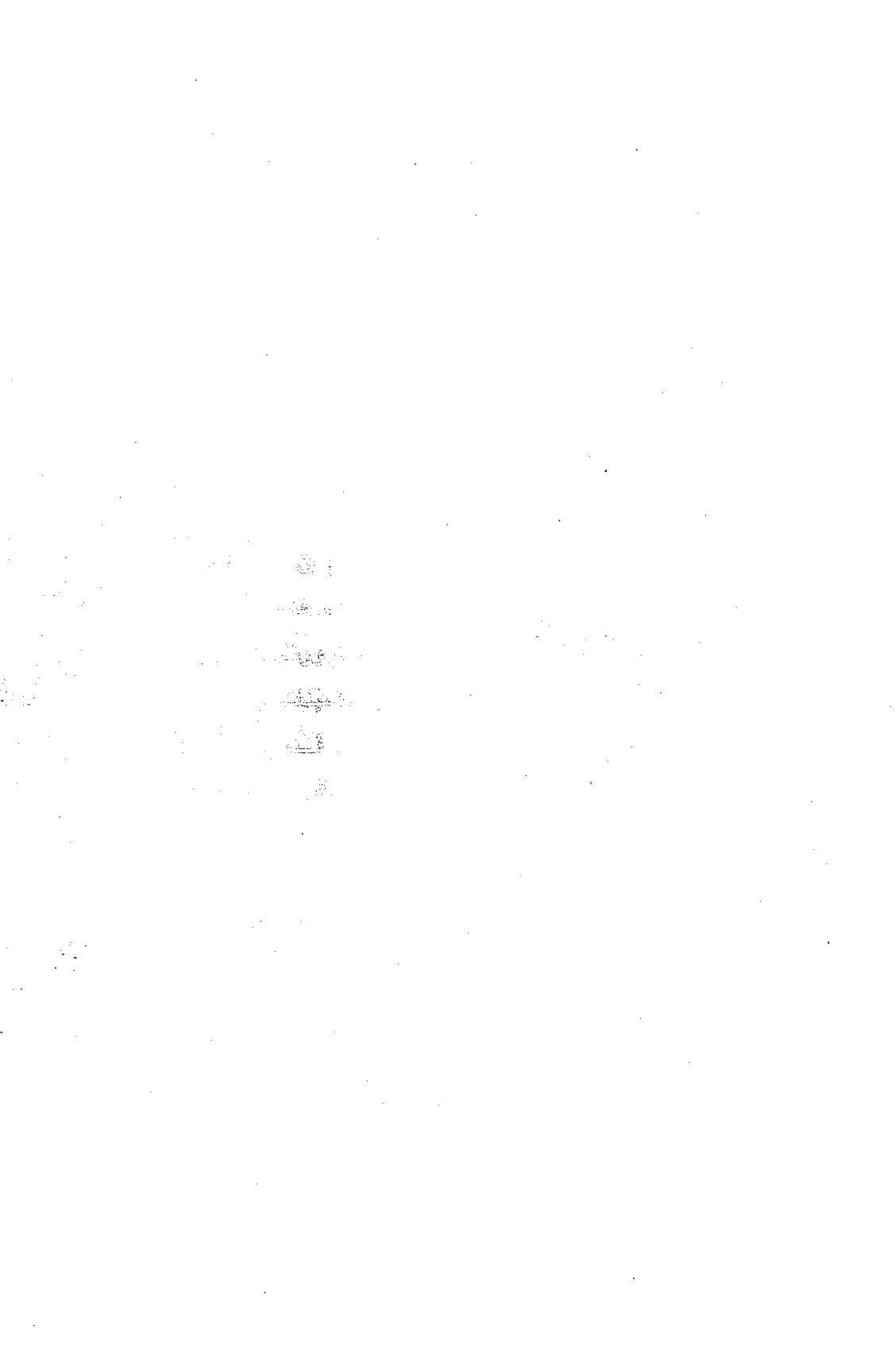

المصادر والمراجع

١ – آراء أهل المدينة الفاضلة .

لأبى نصر الفارابى . مطبعة محمد على صبيح .

٢ – اسس الفلسفة .

د/توفيق الطويل . الطبعة الثانية . القاهرة ١٩٥٥ م.

٣ – الإشارات والتنبيهات .

لابـــى على بن سينا شرح نصير الدين الطوسى تحقيق د/سليمان دنيا دار المعارف .

٤ – إحياء علوم الدين .

لابى حامد الغزالى . دار الغد العربى . الطبعة الثانية ١٩٨٧م .

٥ – تاريخ الفلسفة اليونانية .

ليوسف كرم . دار القلم . بيروت . لبنان .

٦ – تاريخ الفلسفة الحديثة .

ليوسف كرم . دار المعارف .

٧ – تاريخ الفلسفة فى الإسلام .

للاســتاذ ذ/ت . ج . دى بور نقله إلى العربية د/ محمد عبد الهادى أبو ريده . مكتبة النهضة المصرية .

٨ – التأملات فى الفلسفة الأولى.

لـــيدكارت . تـــرجمة د/ عثمان أمين مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ١٩٧٤م .

٩ – التعرف لمذهب أهل التصوف .

للكلاباذى .

١٠ – ثورة العقل فى الفلسفة العربية .

د/عاطف العراقى . دار المعارف . الطبعة السابعة ١٩٩٩م .

١١ – جامع البيان عن تأويل آى القرآن . تفسير الطبرى .
تحقيق محمود وأحمد محمد شاكر .دار المعارف القاهرة ١٩٦٩م .
١٢ – الجامع لأحكام القرآن .
للقرطبى . دار الكاتب العربى، القاهرة الطبعة الثالثة ١٣٨٧ هـ ـ ١٩٦٧م .
١٣ – جون لوك .
د/عزمى إسلام . دار المعارف ١٩٦٤ م .
١٤ – ديكارت .
د/عثمان أمين . مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ١٩٦٩ م .
١٥ – الرسالة القشيرية .
أبو القاسم عبد الكريم القشيرى . طبعة مصطفى الحلبى القاهرة ١٣٧٩ هـ ـ ١٩٥٩ م .
١٦ – شرح العقيدة الطحاوية .
لابن أبى العز الحنفى . الطبعة الثالثة . المكتب الإسلامى . بيروت ١٣٨٥ م .
١٧ – شرح الخريدة فى علم التوحيد .
لسيدى أحمد الدردير . تعليق حسين عبد الرحيم مكى .
١٨ – الشفاء
لابن سينا الشيخ الرئيس أبو على الحسين
تحقيق د/ محمود الخضيرى . طبعة الهيئة العامة .
١٩ – الطبيعة وما بعد الطبيعة .
يوسف كرم . دار المعارف .
٢٠ – عقيدة المسلم .
محمد الغزالى . طبعة دار الكتب الإسلامية .القاهرة سنة ١٩٨٤م

٢١ – فتح البارى شرح صحيح البخارى ٠
لأحمد بن على بن حجر العسقلانى ٠ المطبعة السلفية القاهرة ١٣٨٠ هـ ٠
٢٢ – فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال
لابى الوليد محمد ابن رشد ٠ المكتبة المحمودية ٠ القاهرة ١٣٨٨ هـ ٠
٢٣ – فلسفتنا ٠
محمد باقر الصدر ٠الطبعة الخامسة ٠دار الفكر ٠بيروت ١٩٧٣م ٠
٢٤ – الفلسفة الحديثة عرض ونقد ٠
د/ أحمد السيد على مكتبة الإيمان ٠ المنصورة ٠
٢٥ – قصة الفلسفة اليونانية ٠
لأحمد أمين وزكى نجيب محمود ٠ الطبعة السابعة لجنة التأليف ٠ القاهرة ١٩٧٠ م ٠
٢٦ – قصة الفلسفة الحديثة ٠
د/ أحمد أمين ٠ زكى نجيب محمود ٠ القاهرة ٠
٢٧ – كبرى اليقينيات الكونية ٠ وجود الخالق ووظيفة المخلوق٠
د/ محمد سعيد رمضان البوطى ٠ دار الفكر العربى دمشق سورية
٢٨ – الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل ٠
لأبى القاسم جار الله الزمخشرى ٠ مطبعة الحلبى القاهرة ١٣٩٢ هـ ١٩٧٢ م ٠
٢٩ – اللمع فى التصوف ٠
لابى نصير السراج الطوسى ٠ تحقيق د/عبد الحليم محمود، ود/ طه عبد الباقى سرور ٠ دار الكتب الحديثة ٠ القاهرة ٠
٣٠ – لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية ٠
العلامة الشيخ محمد السفارينى الحنبلى ٠ دار الخانى الرياض ٠

٣١ – مبادئ الفلسفة .
ديكـــارت ترجمة د/ عثمان أمين . مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٦٠ م
٣٢ – مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين
لابـــى عبد الله ابن القيم الجوزية . دار إحياء الكتب العربية . فيصل عيسى البابى الحلبى .
٣٣ – مدخل إلى الفكر الفلسفى .
جوزيـــف بوخينسكى . ترجمة د/محمود حمدى زقزوق الطبعة الأولى مكتبة الأنجلو المصرية . القاهرة ١٩٧٣م .
٣٤ – مدخل جديد إلى الفلسفة .
د/مصطفى النشار . دار قباء ١٩٩٨ م .
٣٥ – مصادر المعرفة فى الفكر الدينى والفلسفى
د/ عـــبد الرحمـــن بن زيد الزنيدى . مكتبة المؤيد . المملكة العربية السعودية .
٣٦ – المعتبر فى الحكمة والطبيعيات والإلهيات .
لأبـــى الـــبركات الـــبغدادى . الطـــبعة الأولى حيدر آباد . الدكن . ١٣٥٧ هـــ .
٣٧ – المعجزة القرآنية الكبرى (القرآن) .
للشـــيخ محمد أبو زهرة . دار الفكر العربى . القاهرة ١٣٩٠ هـــ ـــ ١٩٧٠ م .
٣٨ – المعجم الفلسفى .
د/جميل صليبا . دار الكتاب اللبنانى طبعة عام ١٩٧٨ م .
٣٩ – معيار العلم .
لابى حامد الغزالى . القاهرة ١٩٦١ م .

٤٠ – مفاتيح الغيب . التفسير الكبير .
فخر الدين الرازى . دار الغد العربى .
٤١ – مقاصد الفلاسفة .
لابـــى حـــامد الغـــزالى . تحقيق د/سليمان دنيا الطبعة الثانية . دار المعارف . القاهرة ١٩٦٩ م .
٤٢ – المواقف .
لعضـــد الملة والدين عبد الرحمن ابن أحمد الإيجى طبعة القسطنطينية ١٢٨٦ هـــ .
٤٣ – نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة
د/ راجـــح عـــبد الحمـــيد الكردى . مكتبة المؤيد . والمملكة العربية السعودية .
٤٤ – نقض المنطق لابن تيمية .
تحقـــيق الشـــيخ محمـــد حمـــزه . والشيخ محمد الضبع طبعة السنة المحمدية . القاهرة ١٣٧٠ هـــ ١٩٥١ م .